



حضرة صاحب المعالي الدكتور علي إبراهيم باشا وزير الصحة



# المقتطف

الجزء الرابع من المجلد السابع والتسعين

١ شوال سنة ١٣٥٩

نوفمبر سنة ١٩٤٠

## حرب المعادن

ما فتى الحديد والصلب من عهد الفروسية في القرون الوسطى معدناً لاغنى عنه في الحروب. وكل ارتقاء جديد في أساليب الحروب يعزز الحاجة الى مقادير اكبر من الصلب ، ولا سيما في العصر الحديث حيث الحاجة ملحة الى اصناف جديدة منه . فدروع البوارج ومعدن القذائف يحتاج الى صلب يقاوم الصدمة القوية . والطائرات والدبابات تحتاج الى صلب خفيف لا ينقص . وصناعة الذخيرة الحربية تقتضي ادوات من انواع من الصلب تستطيع ان تعمل بها بسرعة عظيمة بغير ان تفقد حدتها المرهف ودقتها المتناهية . وقد كشف علماء المعادن انك تستطيع ان تصنع اصنافاً من الصلب تتصف بهذه الصفات الخاصة بخلط الصلب بمقادير معينة من الفلزات النادرة وهي المولبدنيوم والتنجستن والكروميوم والنيوبيوم

كل قارئ من قراء المقتطف يعلم ان التليس بالنيكل يمنع الصدأ . ولكن قد يقل بينهم من يعلم ان الصلب المخلوط بالنيكل ضروري لصناعة عربات المدافع الضخمة . والمنغنيس لازم في صناعة الصلب كنصر من عناصر الأخلط وكامل لنزع الاكسجين من اكاسيد الحديد في صنع الصلب ولا يحل محله عامل آخر في تحقيق الغرض الثاني . ولذلك يقول العلماء ان المعادن غير الحديدية non-ferrous هي طائفة أخرى من المعادن لاغنى عنها في الحروب الحديثة . وهي الألومنيوم والتيتانيوم والنيحاس والرصاص والمغنيزيوم والفصدير والحارصين ( الزنك )

فالأجهزة الكهربائية وأجهزة الاذاعة والالتقاط اللاسلكية وأجهزة التنصت (تتبع الاصوات) ومبرّدات الطائرات والدبابات والجرارات tractors تحتاج الى مقادير غير يسيرة من النحاس



ولا ريب في ان الطائرات المصنوعة من الفلزات <sup>(١)</sup> metals جسماً وأجهزة ومحركات ومدافع غدت من ألزم لوازم الدول الحربية في هذا العصر . فاذا فرضنا ان وزن طائرة متوسطة يبلغ ٨٣٠٠ رطل فالمعادن التي تدخل في تركيبها كما يلي :

الألومنيوم ٥١٢٠ رطلاً . الحديد والصلب ١٦٢٠ رطلاً . النحاس ٣٦٠ رطلاً . المعادن الأخرى (من نيكل وكروميوم ومولبدنيوم ومنغنيس وقصدير) ٦٠ — ٧٠ رطلاً من كل منها فاذا طبقنا هذه الأرقام على ٢٤ ألف طائرة وهو على ما يقال عدد ما تصنعه ألمانيا من الطائرات في السنة كانت حاجة ألمانيا الى مقادير من المعادن المتقدمة كما يلي :

الألومنيوم ٥٥٨٠٠ طن متري . الحديد ١٨٣٠٠ طن متري . النحاس ٣٩٠٠ طن متري . النيكل والكروميوم والمولبدنيوم والقصدير والمغنيزيوم وغيرها مما يشبهها ٤٤٠٠ طن متري . إن فقر أرض ألمانيا بركازات المعادن حقيقة معروفة عند علماء الجغرافيا والجيولوجيا . فأرضها لا تسد إلا ربع ما يحتاج اليه من الحديد والصلب ( الى ثلثه ) وسبع حاجتها من النحاس ، وهذا بحسب احصاءات سنة ١٩٣٦ — ١٩٣٧ . أما ما تخرجه من البوكسيت (ركاز الألومنيوم) والانتيمون والقصدير والمعادن غير الحديدية أي المولبدنيوم والتنتستن والكروم والنيكل فلا يكاد يذكر أولاً وجود له . ولكنها تقرب من حدود الكفاية في ما تستخرجه من أرضها من الرصاص والحارصين والمغنيزيوم . وما بلغت الصناعات الكبيرة في ألمانيا من الارتقاء العظيم كان يعتمد على ركازات المعادن الواردة الى ألمانيا من شتى أنحاء العالم فتصهر فيها وتتنقى وتسبك ولكن وارداً من هذا القبيل ينقطع — وفعلاً قطع — في اثناء حرب تكون فيها ألمانيا خصماً لدولة بحرية قوية كبريطانيا . ذلك ان موقع ألمانيا الجغرافي يجعلها كبيرة التأثير بهذا الحصر ، وتوزيع المعادن في شتى أنحاء الأرض يجعل الوصول اليها متعذراً إلا عن طريق البحر لأن معظم البلدان التي فيها مناجم هذه المعادن تابعة لبريطانيا او فرنسا او الولايات المتحدة على الأكثر فما كادت هذه الحرب تنشب حتى قطع عن ألمانيا ورود النحاس من شيلي وروديزيا ، والنيكل من كندا وكاليدونيا الجديدة <sup>(٢)</sup> والمنغنيس من البرازيل والهند ، والقصدير من الصين وبوليفيا ، واذا استثنينا من معادن أوروبا الحديد والألومنيوم والمغنيزيوم والمنغنيس والحارصين والرصاص ، فالباقى إما قليل جداً فيها وإما غير جيد

(١) استعملنا افظ معدن ومعادن مقابلاً للفظ metal لانه مألوف فنقول معدن الذهب ومعدن النضة مع أن الشائع استعمال فلز metal ومعدن mineral . وقد فضلنا ذلك لأن لفظ « فلز » غير مألوف الا عند أهل العلم الكيمائي والمقال اقتصادي في المقام الاول

(٢) جزيرة في جنوب المحيط الهادي تابعة لفرنسا وقد انضمت الى الجزائر ديجبول



وليس ثمة ريب في ان المانيا لم تخضع غمار الحرب وهي عالة بضعف اقتصادها الحربي من ناحية المعادن إلا بعد ما دبرت نفسها . فقد قضى علماءها واقتصاديوها سنوات يبحثون جميع الأساليب التي تمكن المانيا من التغلب على هذا الضعف . ولعل أسهل الطرق لتحقيق بعض هذا الغرض هو طريق غزو البلدان التي تنطوي تربتها على معدن ثمين او مستودعات تحتوي على مقادير مخزونة من هذا المعدن النادر او ذاك

ولكن اذا نظرنا الى غزوة النمسا وتشيكوسلوفاكيا من هذه الناحية فقط وجدنا انها لم تكن غزوة موفقة لأن كلتا الدولتين كانت تستورد المعادن التي تحتاج اليها المانيا ، ففائدة غزوها يجب ان تقاس بمقاييس أخرى اقتصادية وصناعية واستراتيجية ومعنوية . ولكنها لم تخل من فائدة . فقد كسبت المانيا من ثلاثة الى أربعة ملايين طن من الحديد كل سنة بغزوها . وكذلك مقادير يسيرة من الزئبق والأتيمون والنحاس ، ولا سيما المغنيزيوم لأن أرض النمسا غنية بركازة المعروف باسم مغنيزيت magnesite

وكسبت المانيا من غزوة بولونيا مناجم للخارصين (الزئبق) فغدت مكفية من ناحيته . أما الدنمارك فليس فيها معادن ، وأما الزوج فكانت تصدر أدوات معدنية وكتلاً معدنية من الألومنيوم والنحاس والتيسكل وغيرها من المعادن النادرة كالسكروم والمولبدنيوم اللازمة لتقسية الحديد . ولكن زوج كانت تستورد ركازات هذه المعادن ثم تحولها كتلاً صافية في مصانعها بالطاقة الكهربائية وهي قليلة النفقة فيها لأنها مولدة من مساقط الماء . إلا أن زوج فيها مناجم لغنصر المولبدنيوم والفوز به من أهم ما كسبته المانيا من هذه الناحية . فما يستخرج من هذه المناجم في السنة يكفي حاجة المانيا الى هذا المعدن مدى أشهر وهو لازم في صنع اخلاط من الصلب لا يستغنى عنها في الأجهزة الميكانيكية التي تسير بسرعة عظيمة كالطائرات

وأفضى احتلال هولندا والبلجيكا الى اضافة مقادير من القصدير كانت حاجة المانيا اليها عظيمة . فركازات القصدير كانت تجمي الى هولندا من جزائر الهند الشرقية الهولندية وتصدر في مصانع أرnhem على مقربة من الحدود الألمانية . ولكن الانكليز اجتاحوا منذ بدء الحرب لاحتمال سطوة الألمان على هذه المصانع وما قد يخزن فيها من القصدير فقيدوا استيراد هولندا لهذا المعدن تقيداً شديداً

ومع ذلك فقد استطاعت القوات الألمانية أن تستولي على ألفي طن الى ثلاثة آلاف طن من القصدير عند ما غزت هولندا . ( يبلغ ما تستهلكه المانيا من القصدير في السنة ١٣ ألف طن ) ولكن أكبر غم في المعادن ظفرت به المانيا بالغزو الحربي هو ما غنمته باحتلال دوقية لوكسمبرج التي أنتجت في سنة ١٩٣٧ سبعة ملايين الى ثمانية ملايين طن من ركاز الحديد . وهو



ثلاث ما كانت تستورده ألمانيا في السنوات الأخيرة . فما فازت به ألمانيا من حديد لوكسمبرج وما ضمنت استيراده من حديد أسوج يكفي حاجتها . ويقال بوجه عام ان قارة أوروبا فقيرة بالمعادن ولا سيما اللازمة لاختلاط الصلب . ولذلك لا ينظر ان يكفي الغزو لحل مشكلة احتياج ألمانيا الى جميع أصناف المعادن إلا اذا استطاعت ان تنزع سيادة البحار من الأسطول البريطاني هل ثمت حل آخر ؟

تستطيع ألمانيا ان تخفف وطأة هذه المشكلة باستغلال المناجم الفقيرة والمهملة وهي مناجم لا تصلح للاستغلال الاقتصادي في عهد السلام والرخاء . وتستطيع كذلك ان تعتمد على الخزون في أثناء السلام وعلى تحديد استهلاك المعادن في اغراض غير حربية وعلى جمع المستعمل من المعادن في البيوت والشوارع والحدائق والدكاكين واخيراً على استنباط اختلاط جديدة محل محل الاختلاط المعروفة بغير ان تحتاج في صنع الاختلاط الجديدة الى المعادن التي تفتقر اليها اما الطريقة الاولى فقد طبقت في مناجم الحديد ببروزويك . فركاز الحديد هناك لا يحتوي إلا على نسبة يسيرة من الحديد . ومع ذلك زاد مقدار المستخرج منها من ٨ ملايين طن الى ١٣ مليون طن في السنة . ( وعلى الرغم من ذلك تبقى ألمانيا محتاجة الى استيراد ٢٠ مليون طن في السنة تستورد معظمه الآن من أسوج <sup>(١)</sup> ولوكسمبرج ولورين

وقد زاد ما يستخرج من النحاس بالطريقة نفسها ولكن ألمانيا ما زالت تعتمد على الاستيراد في الحصول على ٨٥ في المئة مما تستهلكه من النحاس . وزيد كذلك ما يستخرج من الرصاص والخارصين ولما كانت أرض ألمانيا فقيرة بوجه عام في المعادن فالاعتماد على هذه الطريقة في زيادة المستخرج منها لا بد أن يكون محدوداً

وهناك طريق الشراء والتخزين . وقد كانت هذه الطريقة مستطاعة في أثناء السلام عندما كانت ألمانيا قادرة على توجيه عنايتها الى الاستيراد من الخارج على قدر ما يسمح لها به اقتصادها . وهي طريقة أصلح طبعاً لتخزين المعادن منها لتخزين الحبوب والأطعمة لأن التلف لا يتطرق الى المعادن ولا الفساد . ومن الحقائق المعروفة ان ألمانيا عنت بالتخزين منذ سنة ١٩٣٣ . ولما كانت المقادير المخزونة من شتى المعادن من الأسرار الحربية فليس في التوسع معرفة هذه المقادير معرفة دقيقة . ولكن الرجوع الى جداول التجار في شتى أنحاء العالم واحصاءات الوارد والصادر تتبع للباحث وسيلة تمكنه من معرفة الوارد الى ألمانيا منها على وجه التقريب . إلا أن الباقي مخزوناً منها الآن غير معروف لأن التوسع في الصناعة الحربية والاستهلاك الحربي اقتضى حتماً توسعاً في استهلاك الوارد أولاً ثم في استهلاك المخزون

(١) لا بد ان يقل المستورد من أسوج عند ما يتجمد خليج بوثينا وجانب من بحر بلطيق في الشتاء



غير أن الاستيراد للتخزين عمل يقتضي نفقة كبيرة ، قد ترهق الاقتصاد القومي . فلو أرادت ألمانيا مثلاً أن تحزن ما تستهلكه من النحاس فقط مدى سنة كاملة لا تقتضي ذلك منها اتفاق خمسين مليوناً من الدولارات . فكيف توفسي الثمن إلا بالذهب ، وهو قليل في يدها ، أو بالاصدار والاصدار كان مقيداً كذلك بأساليب الاكتفاء الذاتي . وعلى كل حال فالمعادن التي لا توجد في أوروبا الآن لا سبيل إلى استيرادها من الخارج ولا بد من الاعتماد على المخزون منها إلى أن ينفد ثم إن الحكومة الألمانية جرت منذ سنة ١٩٣٤ على تحويل المعادن من استعمالها في صنع الأدوات المنزلية وغيرها إلى استعمالها في الصناعة الحربية . فالقصدير الذي كان يستعمل في صنع أنابيب صابون الخلقة ومعجونات الاسنان وعلب حفظ الفواكه واللحوم يستعمل الآن في لحام مبردات الطائرات . وكذلك الألومنيوم والنحاس والنيكل والكروم معادن كانت تستعمل في صنع الأواني المنزلية فحوّلت إلى صنع الأجهزة الحربية . ولعلّ أبلغ دليل على ذلك أن رفوف التجار خالية فلا تستطيع أن تشتري اناء من الألومنيوم أو ما أشبه

وكانت النقود تحتوي مقادير من النحاس والألمنيوم والبرونز فخلت محلها نقود من الزنك . وفي يناير سنة ١٩٤٠ صدر أمر يحظر استعمال الألومنيوم في أغراض المدنيين واقترح أن يحلّ محلّه وفقاً للحاجة والضرورة الزنك أو الصلب أو العجائن المقسّاة

ولا ريب في أن منع الأهالي من استعمال هذه المعادن وحظر إصدارها قد مكّن الحكومة الألمانية من مقادير وافرة أخذت الآن تنقص رويداً رويداً

ولكن استعمال المعادن في أغراض السكان واستردادها مما استعملت فيه متفاوت بتفاوت المعادن نفسها ووجوه استعمالها . فالمنغنيس يدخل في صنع خليط خاص من الصلب ولكنه لا يسترد منه . وكذلك يتعذر استرداد التنغستن والمولبدنوم والنيكل والكروميوم من الأخلاط التي تدخل في تركيبها بغير نفقة عظيمة لا تسوّغ

أما الحديد المستعمل فسهل صهره وتنقيته وصبه من جديد . وفي الولايات المتحدة يقدر ما يرجع إلى أفران الصهر من الحديد ٦٥ في المائة . وهذا يفسر كثرة إغتماد اليابان على شراء الحديد المستعمل من الولايات ويعمل كذلك تأثير حظر إصدار هذا الحديد إلى جميع البلدان ماعدا بلدان القارتين الأميركيتين وبريطانيا وقد بدى في تنفيذه يوم ١٥ أكتوبر ١٩٤٠

ولكن معدل إسترداد الحديد والصلب في أثناء الحرب ينقص لأن جانباً مما ينفجر من القنابل لا يسترد مطلقاً . وقد عمدت ألمانيا الأمبراطورية بين سنة ١٩١٤ و ١٩١٨ إلى تجريد الكنائس والبيوت والمطابخ والحدايق مما فيها من مصادر الحديد والنحاس المستعملين كالأواني والسقوف والحواجز والتماثيل والأجراس وجاراتها في ذلك ألمانيا النازية منذ أن تقلد أقطابها زمام الحكم سنة ١٩٣٣



ولكن ميدان علم المعادن مجال للابداع والابتكار. وإذا كان علماء الكيمياء لا يستطيعون ان يحولوا العناصر بعضها الى بعض تحويلاً عملياً فانهم يستطيعون ان يستحدثوا اختلاطاً من معادن متاحة لهم لتحل محل معادن أو اختلاط مصنوعة من معادن غير متاحة ولا يخفى ان كل معدن يتصف بخواص معينة تجعله أصلاح ما يكون لاستعمال خاص. فالقصدير لين. والكروم والنيكل يقاومان التأكل. والنحاس موصل جيد للحرارة والكهربائية. والمغنيزيوم والالومنيوم خفيفان (قلة الثقل النوعي). والمعادن غير الحديدية تضيف الى الصلب خواص القساوة أو حسن السقي أو قدرة تحمل الثقل والضغط بغير ان ينقص. ولكن فوارق الخواص بين كثير من المعادن ليست مانعة لاستعمال احدها محل الآخر في بعض الأحيان. فلما نأبأ بالحسنة نحاول ان تستعمل الخارصين والالومنيوم والمغنيزيوم — وهي متاحة لها في بلادها او البلاد التي احتلتها او تستطيع الاستيراد منها — بدلاً من المعادن التي قطع واردتها عنها بفعل الحصار البحري.

ومن المعادن التي لا سبيل لالمانيا اليها الآن القصدير وهو يستخرج من مناجم بوليفيا بأميركا الجنوبية والصين وجزائر الهند الشرقية الهولندية. وقد كان القصدير يحسب الى عهد قريب من المواد التي لا غنى عنها في لحام مفاصل الطائرات ومبرّدات السيارات وغير ذلك من وجوه الصناعة الحربية. ويرى الآن ان الالمانيين صنعوا لحاماً استعملوا فيه الزنك محل القصدير. وعلم القصدير كثيرة الاستعمال في صناعة الأطعمة المحفوظة وهـ في المائة مما تستهلكه الولايات المتحدة الأميركية ينفق في صناعة هذه العلب. ولذلك عمد الالمانيون الى إحلال الورق المقوى محل القصدير في صناعة علب من هذا القبيل حيث يصلح ذلك. وتجرب تجارب الآن في صنع علب من الصلب المغشى بطبقة من الالومنيوم للقيام مقام القصدير في هذه الصناعة ولعل أهم تحول من هذا القبيل تم في استعمال الالومنيوم بدلاً من النحاس وأختلاط الالومنيوم والمغنيزيوم بدلاً من اختلاط صلب النيكل وصلب الكروم. وصنعوا أسلاك الكهربائية من الألومنيوم بدلاً من النحاس.

وهذا يفسر الزيادة الكبيرة في ما تستهلكه المانيا من الألومنيوم اذ زاد من ١٩ ألف طن في سنة ١٩٣٢ الى ١٦٨.٠٠٠ طن في سنة ١٩٣٨. ولكن المهندسين الكهربائيين الأميركيين والالمانيين يشكون في فائدة كل هذا في تمكين المانيا من التغلب على عوزها الى النحاس. ويقولون ان التوسع في استخراج الألومنيوم من ركازة يقتضي زيادة فاحشة في ما تنفقه من الطاقة الكهربائية. فتحويل ركاز الألومنيوم بالكهربائية الى ألومنيوم يصلح لشق الأغراض يقتضي من الطاقة الكهربائية نحو ٧٠ ضعف ما يقتضيه استخلاص طن من ألواح النحاس من



ركازه . وجميع الأعواض التي تبتكر في هذا الوجه او ذاك لا تصنع من لا شيء بل تقتضي اتفاق قدر كبير من الطاقة الكهربائية . فالمطاط الطبيعي لا يقتضي استخراجاً من الأشجار ، إنفاق طاقة كهربائية ما وأما تنقيته فتحتاج الى طاقة ميكانيكية . أما «البونا» وهو العوض الصناعي الذي اخترع ليغني عن المطاط الطبيعي فيقتضي صنع كل طن منه اتفاق من ٢٥ ألف الى ٣٠ ألف كيلوط ساعة من الطاقة الكهربائية . والأمثلة على ذلك متعددة

فإذا انتقلنا الى المعادن غير الحديدية — وهي كما قدمنا لازمة ولا غنى عنها في صناعة اخلاط خاصة من الصلب — فلا استثناء والتبديل يكاد ان يكونان متعذرين . قد يستغنى بالمولبدنيوم عن التنغستن في بعض وجوه الاستعمال ولكن ٩٠ في المائة من المولبدنيوم يستخرج من الولايات المتحدة . والمولبدنيوم الأمريكي غير متاح لالمانيا . وما يصدق على المولبدنيوم يصدق على النيكل فان ٩٠ في المائة أو أكثر منه يستخرج من مناجم كندا وأخيراً ماذا تستطيع ألمانيا ان تستورده من المعادن التي تشد حاجتها إليها باختراق نطاق الحصر البحري او بالاستيراد عن طريق إحدى الدول المحايدة ؟

لا ريب في ان الاستيراد يقتضي توفية ثمن البضاعة المستوردة إما ببضاعة تصدرها ألمانيا، وإما «بماركات متجمدة» تحتفظ بها ألمانيا لحساب صاحب البضاعة التي تستوردها، وإما ذهباً او نقداً أجنبيّاً . وليس مرادنا البحث في هذا الفصل في قدرة ألمانيا على الاصدار ، ولكننا نريد ان نشير الى ان قدرتها على الاصدار خارج أوروبا مقيدة بقيود الحصر البحري لأن سفن الأسطول البريطاني تصادر كل بضاعة صادرة من بلد محايد اذا ثبت لها ان أصلها ألماني . أما السفن الألمانية نفسها فلا تسلك البحار الآن . ثم إن قدرة ألمانيا على الاصدار الى البلدان المجاورة لها في أوروبا محدودة بمجزها عن الحصول على القطن والصوف والجلد وهي من أركان صناعة الاصدار . ويضاف الى ذلك ان نشاط الصناعات الحربية وانصراف الجهد إليها يستغرقان الجانب الأكبر من نشاط العمال ووسائل النقل ويستأثران بمعظم المواد المتاحة للصناعة . فتوفية ثمن المستورد بالاصدار يكاد يكون متعذراً

أما توفية «بماركات متجمدة» — اي استيراد البضائع وتقييد ثمنها لحساب المصدر في ألمانيا — فستطاع تطبيقها على موارد بلدان جنوب أوروبا الشرقية الصغيرة التي تخشى بأس ألمانيا ولا تستطيع مقاومتها . ولكن روسيا واليابان تأبيان إلا استيفاء الثمن . فإذا لم تستطع ألمانيا ان توفية ببضائع وخامات تصدرها إليها فعليها ان توفي الفرق ذهباً . وقد كان احتياطي الذهب الألماني عند بدء الحرب يسيراً جداً . وكان معروفاً ان خزائن البنوك في كوبنهاجن وأوسلو وأمستردام وبروكسل تحوي مبالغ غير يسيرة من الذهب تقدّر بضع مئات الملايين



من الدولارات. فلما احتلتها الجيوش الألمانية وجدتها خاوية لأن الذهب كان قد نقل الى نيويورك او الى لندن. أما في نيويورك فقد « جمدت » أموال معظم البلدان التي احتلتها الألمان. وأما في لندن فقد وضعت رهن تصرف الحكومات التي بقيت محاربة ك هولندا وبلجيكا وزوج ولكن لنفرض ان المانيا تستطيع ان توفي ثمن ما تستورده ، فإذا تستطيع ان تستورد ؟ إن نظرة واحدة الى الخارطة تشير الى قدرة المانيا على الاستيراد من روسيا ودول جنوب أوروبا الشرقي وإيطاليا . أما إيطاليا فتحتاج الى استيراد معظم ما تحتاج اليه وبكاد يكون ما تحتاج اليه نفس ما تحتاج اليه المانيا . ولكنها تستطيع ان تصدر الزئبق وركاز الألومنيوم ، ولذلك نجدها مضطرة ان تنافس المانيا في ما تستطيع ان تستورده من سائر المعادن من البلقان كالحديد والنحاس وغيرها إلا اذا رضيت ان تنكر نفسها في سبيل حليقتها . أما روسيا السوفياتية فليست غنية بالموارد بالمعادن وهي تستورد من الخارج النحاس والرصاص والقصدير والنيكل والمنغنيس والمولبدنيوم والأنتيمون — وهي هي المعادن التي يحتاج اليها الألمان . ولكن روسيا غنية بالمنغنيس إلا ان مناجم المنغنيس الروسية تبعد أكثر من الف ميل عن مصانع الصلب الألمانية فلا بد ان تقوم مصانع النقل دون توريد مقادير وافية من المنغنيس الروسي الى المانيا

ودول جنوب أوروبا الشرقي ، فيها مناطق تحتوي على ركاز الألومنيوم والنحاس والمنغنيس والكروم والرصاص والأنتيمون ولكنها لم تستغل استقلالاً وافياً حتى الآن . وليس في علم المعادن ما يدل على ان مواردها غزيرة . ومن المؤكد ان ما يستخرج من النحاس في يوجوسلافيا وما في الوسع استخراجاً منها لا يكفي ليحل محل ما كانت المانيا تستورده من الشيلي وروندنيا وعلى كل حال لا بد لها من ان تجعل لايطاليا نصيباً فيه

وقد كانت إيطاليا الى ان دخلت الحرب ، باباً يتسرب منه الى المانيا كثير مما تحتاج اليه . فلما دخلتها شملها الحصر البحري فأقفل هذا الباب . ولا يعلم الآن مدى ما تستورده المانيا من الخارج عن طريق روسيا . وليس لدولة اخرى من الدول الباقية على الحياد شأن يذكر في مساعدة المانيا على اختراق نطاق الحصر البحري إلا روسيا ولا سيما عن طريق ثغر فلاديفستوك في الشرق الأقصى . وقد ساعدت الحكومة الأميركية على تعزيز الحصر البحري البريطاني ، بفرضها « الحظر الأدبي » على اصدار خامات صناعية معينة لازمة للصناعة الحربية . ففي ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٣٩ حذّر الرئيس روزفلت الأميركيين من بيع الخزونات في الولايات المتحدة من القصدير والمنغنيس والكروم والمطاط ، لأن هذه المواد لازمة لمشروع الدفاع الأمريكي فيبعضها للاجانب عمل غير وطني . وثني على ذلك مجلس وزاري البحرية والبحرية للذخيرة باصدار بيان قال فيه ان هذه المواد المستوردة الى اميركا من الخارج ضرورية للدفاع . ونبّه التجار الى ان المجلس قد يتوسل بوسائل اخرى اذا احقق التعاون الودّي في هذه الناحية . ويظهر ان التجار



لم يكتروا أولاً لهذا التحذير وأبلغهم مستشاروهم من رجال القانون ان لاحقاً لهذا المجلس ان يمنع الصادرات فكثير الأقبال على التفتت والقصدير . وكان اكبر المشتري لحساب الحكومتين اليابانية والروسية . فارتفع صوت في مجلس النواب البريطاني ، بأن اصدار القصدير الى اميركا من مستعمرة الملايا يتم على شرط ان لا يعاد إصداره . ولم تهدد الحكومة البريطانية بتقييد اصدار القصدير الى اميركا ولكن هذا التنبيه كان له التأثير المنتظر

وفي ديسمبر سنة ١٩٣٩ اصدار الرئيس روزفلت بياناً اعرب فيه عن أمله بأن لا يعتمد اصحاب مصانع الطائرات وأجهزة الطائرات في أميركا ومنتجي مواد أخرى ضرورية في صناعة الطائرات الى اصدارها لدول تستعمل طائراتها في قذف السكان . وثبتت وزارة الخارجية على بيان الرئيس بارسال كتاب الى منتجي معدنين لازمين في صناعة الطائرات وهما الالومنيوم والمولبدنيوم ينبههم الى رغبة الرئيس . وكانت أميركا قادرة على حظر إصدار المولبدنيوم الى العالم فتحرمه منه لأنها تنتج ٩٠ في المائة من مقدار انتاجه العالمي . ومع أن الرئيس ووزارة الخارجية لم يذكر اسم دولة ما فقد فهم المنتجون أن المقصود هو روسيا واليابان ( روسيا لقذفها القنابل على سكان فنلندة واليابان لقذفها القنابل على سكان الصين ) . أما ألمانيا فالإصدار المباشر إليها كان ممنوعاً على كل حال بفعل الحصر البحري . وفعلاً قل إصدار هذين الى اليابان وروسيا حتى كاد ينقطع وزاد ما يصدر منهما الى إيطاليا ثم انقطع في مارس

وأخيراً أذاع الرئيس قرار حظر إصدار البترول ومشتقاته والحديد المستعمل والأدوات البصرية اللازمة في الحرب . أما البترول فحظر اصداره الى كل بلد خارج القارتين الأمريكيتين . وهذا يؤثر في بريطانيا وروسيا وألمانيا واليابان وغيرها على السواء . ولكن كندا تستطيع أن تستورد من أميركا بحكم كونها في القارتين الأمريكيتين ثم تعيد اصداره الى بريطانيا اذا شاءت . وأما حظر الحديد فشمل جميع الدول ماعدا دول القارتين الأمريكيتين وبريطانيا

والخلاصة أن هذه الحقائق عن حرب المعادن لا يمكن أن تتخذ دليلاً على أن قلة المعادن وحدها عامل كاف من عوامل هزيمة ألمانيا لأن نتيجة هذه الحرب ستقرر باشتراك عوامل متعددة منها الاقتصادي والصناعي والنفسي والعسكري . ولكن ما يعوز ألمانيا من المعادن سيكون ذا منزلة كبيرة في النتيجة النهائية . فاضطرابها الى إستعمال ركازات ضعيفة من المعادن الحيوية وإستيراد ما لا يجده في أرضها أو أراضي البلدان المحتملة أو المجاورة بطرق طويلة مما يرهق الاقتصاد الألماني . ويجب أن نضيف الى ما تقدم أن قارة أوروبا بوجه عام فقيرة بالمعادن ، فاذا شاء هتلر أن ينشئ منها وحدة اقتصادية كبيرة مكنته فعليه أن يوسع نطاق فتوحه وراء حدودها



# الارتقاء الطبي

مهداة من تحرير « المتطف »

الى الدكتور علي ابراهيم باشا

وتأثيره الاقتصادي والاجتماعي

تضاعف عدد سكان الأرض في خلال القرن الماضي . فهو الآن يزيد المليون نسمة عما كان عليه في سنة ١٨٤٠ ولو أن أحداً قال للقس ماثوس ان سكان الأرض سيبلغون ألفي مليون نسمة سنة ١٩٤٠ لأنكر أن ذلك مستطاع في خلال مائة سنة أو بضع مئات من السنين . فقلة الموارد بالقياس الى الناس وزيادتهم كانت في رأي ماثوس حائلاً دون ازدياد عدد سكان الأرض زيادة تبالغ الضعفين . ومع ذلك تضاعف عدد السكان ، وإذا كان معدل زيادتهم أخذ يقل الآن فما ذلك لقلة الطعام

وموطن الخطأ في رأي ماثوس اعتباره الانسان ذا قدرة محدودة على الانتاج . ولكن التقدم العظيم في شتى العلوم التطبيقية والارتقاء في علوم الطب نقضا هذا الرأي من أساسه . وعلى الرغم من زيادة السكان زيادة كبيرة فقد شأها الانسان بتقدمه العلمي الصناعي . فزادت قدرته على الانتاج أكثر مما زاد عدد السكان ، أي أكثر من الضعفين

بل ان قدرة ألفي مليون نسمة على الانتاج الآن ، تفوق قدرة ألف المليون الذين كانوا يقطنون سطح الكرة قبل قرن من الزمان ، بضعة أضعاف لا ضعفين فقط . وهذا التقدم مرده في المقام الأول الى الآلات التي استنبطها الانسان واستعان بها على الانتاج . ولكن يجب ألا ننسى أن هذا التقدم يرد كذلك الى كون الانسان نفسه أصبح من حيث هو جهاز منتج ، أكفأ وأقدر مما كان . ولا ريب في أن المخترعين والمهندسين قد ساهموا بنصيب كبير في هذا الارتقاء . ولكن يجب ألا نفعل ما للارتقاء الطبي من أثر في كل بحث يعالج زيادة السكان والتعطل عن العمل وهما لباب المشكلات الاقتصادية التي يعانيها هذا العصر

من نحو مائة سنة كان جانب كبير من سطح الأرض عاجزاً عن انتاج شيء يزيد على مجرد ما يحتاج اليه سكانه . وكانت موارد تلك البقاع وافرة مثل مواردها الآن ، ولكنها لم تستغل حينئذ الاستغلال الوافي ، لأن الشعوب البيض التي كان في وسعها هذا الاستغلال وفقاً لأصول التقدم العلمي الحديث كانت طاجزة عن السكن فيها ، وشعوبها الأصلية لم تكن قد تعلمت الأساليب



الجديدة من البيض . فالأوبئة والأمراض كالمالاريا والحمى الصفراء والتيفوس ومرض النوم كانت تحول دون تمكين أولئك الشعوب من السكن مدى طويلاً في الاقطار الاستوائية وما يليها . ولكن ارتقاء العلوم الطبية في خلال نصف القرن المنصرم أتاح للإنسان السيطرة على هذه الأدوية وأباح له مناطق استوائية شاسعة فاستطاع بعلمه وخبرته ان يزيد انتاجها اضعافاً مضاعفة . ونظرة عجيبي تسفر عما لقهر الملاريا والحمى الصفراء من فعل في زيادة انتاج السكر في كوبا والفواكه في اميركا المتوسطة والبن في البرازيل والمطاط في افريقيا . ولا ريب كذلك في ان الارتقاء الصحي في مصر — وان كان المستوى لا يزال منخفضاً بالقياس الى البلدان الأوروبية والأميركية — كان ذا أثر في زيادة انتاجها الزراعي . ولما نجد مادة من منتجات الارض لم يزد انتاجها زيادة كبيرة بفتح مناطق جديدة للاستغلال كانت قبل خمسين سنة موصدة لتفشي الأمراض فيها ، ولا ريب في ان هذا كان له أثر بارز في ميادين السياسة والتنافس السياسي والاقتصادي بين الدول

فالبلدان التي كانت مهملة غدت مثاراً للتنافس بين الدول على امتلاكها او السيطرة عليها ونحن عندما نفكر في عمل اقتصادي عظيم كترعة بناما يتجه الفكر أولاً الى أنها ظفر هندي عظيم ، ولسنا في حاجة الى تبيان ما كان لها من منزلة في توسيع نطاق التجارة وتسهيل سبلها بين ساحلي اميركا ثم بين أوروبا والشرق الأقصى بتقصير المسافة التي يتعين على السفن اجتيازها . ولكن العلوم الهندسية — مهما تبلغ من الارتقاء والابداع — كانت عاجزة عن إنجاز التركة لولا التقدم العظيم في الطب الاستوائي . فالتغلب على الملاريا والحمى الصفراء أتاحا للجنرال جوثالس Goethals الأمريكي النجاح حيث أخفق المهندسون الفرنسيون

### مقاومة الأوبئة وانتشاء المدن

ليس بين الأوبئة التي انتابت الجنس البشري وباء يفوق الملاريا في عدد ما اقتضاه من ضحايا بشرية . نعم إنه دون الطاعون الدملي من حيث شدة وطأته وفنكه وسرعة تفشيه في مدة قصيرة ، ولكنه منتشر انتشاراً واسعاً في المناطق الاستوائية وما يليها الى جنوب المناطق المعتدلة . ولا يعرف في تاريخ الطب مرض كالمالاريا مافقء منتشر يفتك بالناس مدى الفين وخمسين سنة متصلة . عدته امبراطورية أثينا عدوها الألد . ولو استطاعت أثينا ان تقهر الملاريا لقهرت العالم . وروما كذلك منيت في خلال تاريخها بضربة الملاريا . فقتل هذا المرض من جنودها اكثر مما سقط منهم في جميع ميادين القتال . فالمدينة الخالدة ، مدينة الأكمات السبع تحيط بها بطائح ، نعلم الآن انها متوى البعوض ، فكانت روما تصاب بالحمى كل صيف .



فأفضى ذلك الى هزال اهلها ووهن قواهم حتى ذهب فريق من المؤرخين الى ان ذلك كان من اسباب تداعيا وسقوطها

وقد بذلت السلطات الرومانية جهداً عظيماً لكشف سبب الملاريا وكادت تفلاح لأنها اقتنعت بأن هذا « الداء الويل يمشي في الليل » اي انه مرض ينتقل على أجنحة هواء الليل. ولذلك ذهب الرومان الى ان أنجح الوسائل في تجنبه هي ايجاد النوافذ والأبواب من غروب الشمس الى شروقها. ولكن الرومانيين لم يتخطوا ذلك الى استبانة الصلة بين « هواء الليل » والبعوض. والواقع ان العلم لم يضع أصبعه على الجرم الحقيقي في هذا الداء — وهو بعوض الانوفيل — إلا بعد انقضاء الف وخمس مائة سنة على سقوط روما

نعم إن بعض الباحثين ظن أن البعوض هو الجرم، ولكن ما العمل والبعوض أنواع متعددة؟ فكان لابد من تجارب متعددة طويلة تقتضي من المجربين صبراً وبراعة قبل ان يستفرد نوع واحد من مائة نوع من البعوض واثبات الجرم عليه. حتى معرفة النوع وحدها لم تكف لأن أناث ذلك النوع دون الذكور تنقل طفيليات المرض. أما كيفية انتقال العدوى بواسطتها فحيرت الباحثين طويلاً الى ان وفقوا الى معرفة جميع مراحلها وهي مراحل حياة الطفيلي نفسه في البعوض وكريات الدم الحمر في الانسان. وعندما عرفت هذه الحقائق جميعاً عانى الأطباء مشقة عظيمة في اقناع الجمهور والسلطات العامة بأن السيطرة على الملاريا والحمى الصفراء مستطاعة بالقضاء على البعوض في مصادره حيث يتولد وذلك بصب الزيت على المياه الراكدة

أما الطاعون الدملي فقد ظل أكثر الأوبئة إستيقافاً للنظر وتأثيراً في النفوس، تبعث الفاظ إسمه الهلع في القلوب لشدة فتكه بالناس في وقت قصير. وقد يكون ما روي عن عدد الذين ماتوا به مبالغاً فيه. « فالموت الأسود » (١٣٤٨ — ١٣٥١) قضى — على ما يقال — على نصف الشعب الانكليزي. وفي بعض الصوامع والأديرة في إنكلترا سجلات دقيقة تدل على أن معدل الوفاة فيها بلغ النصف. ولكن من المرجح أن معدل وفيات الصوامع والأديرة كان أعلى من معدل وفيات السكان به لأن الرهبان كانوا يزورون المرضى لمواسمهم ولممارسة الشعائر الدينية الأخيرة قبل الوفاة. فعرضهم عملهم هذا للإصابة بالعدوى أكثر مما يتعرض لها عامة الناس. ولما كان السكن في الدير يقتضي الاختلاط بفرصة إنتشار العدوى بين الرهبان كانت أكبر من فرصة إنتشارها في الريف حيث عدد السكان أصغر وإختلاطهم أقل. فالمرجح أن معدل الوفيات بين السكان بالطاعون الدملي في خلال تلك السنوات السود كان أقل من النصف

ولكن أوروبا أصيبت بوباء الطاعون الدملي مراراً بين القرن الثاني عشر والقرن الثامن عشر. وكان من أثرها الفلك بالناس واضعاف الباقيين منهم على قيد الحياة. والطاعون يخاف الملاريا



في أن أكثر ضحاياها كان في المدن بينما أكثر ضحايا الملاريا كان في الريف . ولذلك تأثرت المدن بالطاعون الدملي ولا سيما المرافئ التي كانت أشد المدن تعرضاً للبراغيث الناقلة للطاعون محمولة مع القواضم التي تكثر في السفن الآتية من الشرق

ولا يحتمل أن يكون في أوروبا كلها مدينة واحدة — إلى نهاية القرن السابع عشر — كان معدل الولادة فيها أكثر من معدل الوفيات. فتمو المدن وإزداد عدد سكانها كان على الغالب نتيجة لهجرة الناس إليها من الريف لا نتيجة لزيادة معدل الولادات على معدل الوفيات كذلك يرى أن إرتقاء علوم الطب والصحة العامة هو الذي أتاح للمدن الكبيرة فرصة النمو والازدهار . ولولم يفز الأطباء بالأساليب التي مكنتهم من السيطرة على الملاريا والطاعون الدملي والجذري والتيفود والدوسنتاريا لما كان في المستطاع قيام المدن الكبيرة في شتى أنحاء العالم في خلال القرن المنقضي

وإذا قلنا هذا فقد قلنا إنه لولا هذه الأساليب لما مهد الطريق لنشوء الصناعات الكبيرة لأن الصناعات الكبيرة مركزة إما في المدن الكبيرة وإما في ضواحيها . وليست هذه الحقيقة وليدة الاتفاق . فالصناعة تطلب التوفير في النفقة بالتوسع في العمل حتى يتاح لأصحابها توزيع الثقات الثابتة على أكبر مقدار من البضائع المنتجة . فالصناعة تجذب ألوف العمال إليها . وهؤلاء يفضلون أن يعيشوا على مقربة من مقر عملهم . ومع أن اختراع السيارة أتاح للعمال الابتعاد قليلاً عن مقر العمل فمن النادر أن تجد منهم من يرضى أن يسكن ضاحية تبعد أكثر من نصف ساعة بالسيارة عن مقر عمله . فارتقاء الصناعة اذن يقتضي نشوء المدن الكبيرة وازدحامها . وهذا لا يتاح إلا إذا كانت هذه المدن بمنجاة من عواقب الازدحام . وارتقاء العلوم الطبية وعلوم الصحة العامة أتاح ذلك . فقاطن المدينة مصون — الى حد بعيد — من الأمراض التي تقل جراثيمها في الماء أو بواسطة الحشرات

ولا ريب في أن التغلب على حمى التيفود كان من أهم آثار هذا الارتقاء وأشدّها استرخاءً للاهتمام . فمن خمسين سنة كانت المدن معرضة أشد التعرض لتفشي أوبئة التيفود فيها . ولكننا نجد الآن مدناً كثيرة في أوروبا وأميركا لا تقع فيها إصابة بالتيفود على مدار السنة . فعند ما نشر السروليم أو سطر الطبعة الأولى من كتابه الضخم في « الطب » وقف من صفحاته على بحث التيفود أكثر مما وقف على أي مرض آخر . أما الآن فالتيفود من الأمراض النادرة في أميركا — بحسب قول المجلة العلمية الشهرية — وكثيرون من الأطباء يقضون عاماً كاملاً بغير أن يشاهدوا إصابة واحدة بها

في الحرب الأميركية الاسبانية (سنة ١٨٩٨) كانت كتيبة من الجيش الأميركي تعد اثني



عشر ألفاً معسكرة في بلدة جاكسونفيل بولاية فلوريدا فأصيب منهم ثلاثة آلاف بالتيفود . وفي السنة الأخيرة من الحرب العالمية الأولى — أي بعدما دخلت أميركا الحرب — نزل في البلدة نفسها فرقة كاملة تعد ٢٥ ألفاً للتدريب فلم يصب أحدٌ من رجالها بالتيفود مع أن نزولها في تلك البلدة كان أطول من نزول الكتيبة الأولى

ان صون الصحاريح التي توزع مياهها على المدن من التلوث بجراثيم التيفود، وترشيح الماء وإعداد الحقن الواقية منها جعلت ازدحام الناس في مناطق ضيقة من الأرض — أي في المدن والمعامل والمعسكرات — أمراً مستطاعاً بغير أن تنفث فيهما حي التيفود الويلة

### أمر تقرم الجراحة

ثم هناك التقدم في علوم الجراحة وفنونها . ولا ريب في أن الصناعة جنت فائدة كبيرة من التقدم الظاهر في معالجة الاصابات الناشئة عن العوارض الصناعية . وقيل من الناس يدرك مدى ما كانت تخسره المصانع من جراء إصابات العمال فيها . وكثرة هذه الاصابات لم تكن ناشئة عن خلل في الأجهزة الميكانيكية التي يديرها العمال فحسب بل مردها بعضها الى ضعف البصر في كثير من الأحيان . فلما ارتقى علم الطب البصري أصبح في وسع الأطباء كشف ما في عيون العمال من خلل واصلاحه . فاجتنب بذلك كثير من الاصابات وكانت الاصابات التي تقتضي البتر — ولو كان بترأ يسيراً — كثيراً ما تقضي الى التسمم والوفاة . ومع أن اللورد ليستر كان أشهر جراحٍ حي عصره والى مباحثه ينسب كثير من التقدم الجراحي إلا أن معدل الوفيات في عملياته التي كان يتولاها في مستشفى حياته الجراحية كان يبلغ ٤٥ في المائة

أما الاصابات الصناعية التي لم تكن تقتضي بترأ فكانت تقضي الى ابتعاد العامل عن عمله مدة طويلة قبل ان تندمل جروحه ويشفى مما ألم به . فلما أتقنت وسائل منع التعفن في الجراحة في أواخر القرن التاسع عشر نقص عدد المتوفين كما نقص عدد أيام قعود المصابين عن العمل . أما اليوم فما تخسره الصناعة والزراعة من اصابة العمال بسير جداً وهذا يعني ان مقدرتهم على الانتاج قد زادت زيادة كبيرة

وكان العمال يصابون كذلك اصابات بسيرة تقعدهم عن العمل كالاسهال الناتج عن طعام محفوظ . او التسمم بذلك الطعام . فتقدم صناعة حفظ الطعام قد نقصت هذه الاصابات نقصاً كبيراً وهذا التقدم يرجع الى نواحٍ من تقدم العلوم الطبية الاساسية كالكثير يولوجيا والكيمياء رجوعه الى تقدم الاساليب الصناعية . وكذلك اصابة الاسنان واللوزتين كانت تقضي قبل نصف



قرن من الزمان الى ضعف النشاط فتقدم طب الاسنان وجراحاتها وجراحة اللوزتين قد خفض ذلك خفضاً كبيراً . ولا يزال مجال التقدم واسعاً ولكنهُ على الغالب محصور في اقناع الناس بزيارة أطباء الأسنان وأطباء الحنجرة لمنع آفة او لاستئصال آفة

### تأثير الارتقاء الطبي في الزراعة

وقد كان للارتقاء الطبي تأثير كبير في تقدم الزراعة . والغالب ان مرد التوسع في صناعة الألبان اليه ، وقليلاً يعلم الناس ان الاعتماد على اللبن في الغذاء هذا الاعتماد الواسع لم يتم إلا في خلال القرن المنصرم ، ولو كان الناس يعتمدون عليه قبل باستور مدى اعتمادهم عليه الآن لنفشت أمراض كثيرة فتناكة . لأن اللبن من أشد مواد الغذاء خطراً اذا لم يكن معقماً . فتلوثه بالجراثيم سهل السهولة كلها . وهو يفوق جميع مواد الغذاء الأخرى في عواقب تلوثه . لأنه اذا دخلت الجراثيم المرضية اللبن وجدت فيه مرتعاً خصباً لنموها ، فتسكاثر بسرعة عجيبة لأن الحرارة مؤاتية والغذاء وفير . ثم تدخل في طعام أقل الناس قدرة على مقاومة الأمراض وهم الأطفال والمرضى على الغالب . ولكن اللبن تحول بفضل ارتقاء العلوم الطبية من طعام خطر الى طعام مفيد قد لا نستغني عنه . وعلى هذا الارتقاء نشأت صناعات الألبان الواسعة في شتى البلدان

واذا كان منتجو الألبان قد جنوا فائدة كبيرة من تقدم علوم الطب ، فالفلاحون منتجو الحنطة والبطاطس لم يجنوا مثلها . فقد نقص ما يستهلك منها في بعض البلدان لاعتقاد الناس ان التغذية بهما يميل الى السممة . ولما كانت النساء شديداً العناية بالقوام المعتدل فقد انصرفن إلا قليلاً عن كثرة التغذية بخبز الحنطة والبطاطس . وما يعانیه فلاح أميركا من نقص ما يستهلك من منتجاته ليس سببه ضيق الاسواق الخارجية ومنافسة المنتجين الآخرين فحسب ، بل نقص المستهلك من حنطته وبطاطسه في بلاده . وقد بلغ من مدى هذا النقص في أميركا ان اشتركت شركات الخباز في شن حملة من الاعلان لاقتناع الناس بزيادة ما يستهلكونه منها

وما خسرهُ منتجو الحبوب ربحهُ منتجو الفواكه . وقد يما قال العرب مصائب قوم عند قوم فوائد . فالارشاد الذي بذله رجال الطب للناس من حيث الغذاء وعناصره كان له تأثير في تحويل الانتاج الزراعي فنقص في ناحية وزاد في أخرى ، ومن النواحي التي زاد فيها الاستهلاك وبعثه بحكم الطبع زيادة الانتاج زراعة الفواكه

### مصر الحياة ومشكلة التبويض

ولعل الناحية التي تفوق غيرها من نواحي الارتقاء الطبي هي ناحية خفض وفيات الاطفال



فمدّل الوفيات بين الأطفال لا يزيد الآن على ربع ما كان عليه قبل قرن من الزمان (١) وقد نقص معدل الولادات ولكنه لم يجاز الزيادة الناشئة عن قلة الوفيات . والغالب أن الزيادة الكبيرة في عدد سكان الأرض راجع الى هذا العامل أكثر من رجوعه إلى أي عامل آخر . وهذا يعني أن إحتمال مدى الحياة عند الولادة قد زادت زيادة كبيرة . وإذا كان هذا الاحتمال قبل خمسين سنة من الزمان ثلاثين سنة فقد زاد إلى الخمسين والستين الآن . ولشأن عن هذا أن زاد عدد المتقدمين في السن . فأفضت زيادتهم إلى مشكلة إجتماعية كبيرة هي مشكلة المعاش اللازم للشيوخ . فكان التقدم الطبي في خفض معدل وفيات الأطفال ، أفضى إلى نشوء مشكلة إجتماعية وإقتصادية معاً هي مشكلة العناية بالشيوخ . لأنه بتأخير سن الوفاة زاد عدد الذين لا يستطيعون — لتقدمهم في السن — أن يجازوا الشباب والكهول في قدرتهم على الانتاج فلما وجدت هذه الطبقة من الناس انها عاجزة عن منافسة الشبان والشابات في ميدان العمل بوجه عام أخذت تطالب بوجوب اعتمادها في معيشتها على الدولة وهو طلب معقول ولكن حله على الوجه الأوفى بغير أن يؤثر الحل في الحالة الاقتصادية العامة لا يزال متعذراً وهذه المشكلة من أعقد المشكلات التي نواجهها في هذا العصر . فقد كانت الأوبئة والأمراض وجعل القواعد الصحية ومصائب الحرب تحل المشكلة قبل قيامها ، أي أنها كانت تمنع طول الحياة على المعدل . نعم اتنا ما زلنا نعاني شرور الحرب وقتك الأسلحة الحديثة ولكن عدد الذين يقتلون في الحروب الآن أقل من الذين كانوا يقتلون بها قبلاً وذلك لأن الارتقاء الطبي يحول الآن دون الوفيات الكثيرة الناشئة عن تفشي الأوبئة أو تفجئ الجروح . والمحاجات أقل بوجه عام مما كانت واذا تفشت مجاعة فالغالب أن هيئات الفوث الدولية تبادر الى المساعدة . ويستثنى بحكم الطبع ما ينتظر من حدوث مجاعة في اوربا في الشتاء القادم لاستئثار الالمانين بموارد الطعام المختلفة في شتى البلدان التي احتلوها

وليس ثمة باعث ما يبعث على الاعتقاد بان التقدم الطبي بلغ حدّه . بل على الضدّ من ذلك هناك بواعث كثيرة تجعل على اليقين بان الطب ماضٍ في ارتقائه وان معدّل الحياة سيطول وعدد الشيوخ الذي يحشرون في طبقة الذين يتفاوت عمرهم من ستين الى ثمانين سيزداد . فاذا أخذت الدول بمبدأ توفير اسباب معيشتهم من موارد الدولة وجب على اقطاب الاقتصاد والاجتماع ان يوجهوا عناية خاصة الى هذا الموضوع قبل ان تتفاقم المشكلة

(١) الحالة في مصر لا تبعث على الاغتراب الكبير . راجع حالة مصر الصحية في مقتطف مايو ويونيو سنة ١٩٤٠ للدكتور عبد الواحد الوكيل بك





# على ابراهيم باشا

الاحتفال بميله الستيني

— ١ —

لحضرة صاحب المعالي

بهي الدين بركات باشا

على ابراهيم

والجميل الجربير

حضرات السادة المحترمين : من أرواح الأشياء الى نفسي ان يكون من نصيبي القاء كلمة عن أخي وصديقي حضرة صاحب المعالي الدكتور علي ابراهيم باشا . فلقد جمعتني به صلة الموطن الأصغر أعني تلك القرية الصغيرة منية المرشد حيث ولدت وحيث ولد أبي وجدي وحيث ولد المرحوم ابراهيم افندي عطا والد الدكتور علي ابراهيم . ولقد كان من حظي أن أتعرف بهذا الوالد وإن أرى ما كان عليه من شهامة وعلو نفس وبنية قوية جعلته يظهر في عفوان القوة مع أنه كان قد جاور الثمانين أو جاوزها . ولست أشك ان ولده الصبي علي ابراهيم ورث عن هذا الأب الجرأة والاقدام ، فكان ذلك الصبي منذ ان بدأ دراسته الابتدائية في سنة ١٨٨٨ الى أن حاز شهادة البكالوريا سنة ١٨٩٧ فدبلوم الطب سنة ١٩٠١ مثال الشاب النابه الناجح . فكان دائماً الأول بين أقرانه كما كان الأول في الشهادة الابتدائية والأول في الشهادة الثانوية بأجمعها ، فالأول في الدبلوم . ثم صار يتدرج في مناصب الدولة حتى وصل الى أرقاها ونال من الدرجات العلمية والنياشين المصرية والأجنبية ما جعله في الصف الأول منها جميعاً مما يملأ ثلاث صفحات كاملة ستطلعون عليها بأجمعها

ولكني أيها السادة اذا قصرت كلامي على تلك الصفحة وحدها أكون قد ظلمت التاريخ وظلمت صديقي المحتفل به وظلمت نفسي . فهذه الصفحة وإن كانت صفحة فخار إلا أن لها نظائر في كثيرين . فأما الناحية التي يسطع نورها ويتلألأ ضياؤها في علي ابراهيم فهي عبقرية النادرة في فن الطب وجهه لفنه حباً بلغ منه محل العبادة والتقديس . ولا يحسبن أحد من حضرات أصدقائنا الأطباء أنني سأحيف على حقهم في هذا . فلن أتمدى ببعض كلمات من الوجهة العامة



عرفت علي ابراهيم عقب أن غادر أسبوط وجاء الى القاهرة مساعداً لاستاذ الجراحة في قصر العيني بعد أن كان له اسم عريض ملائك نواحي الوجه القبلي حتى نعت بعلي ابراهيم الأسبوطي

جاء الى مصر ووراءه جميع أهل الصعيد لا يثقون الاً به ولا يطمئنون الاً لمشورته. وكانت البلاد في هذا الحين قد انطبع في نفسها اليأس . ففقدت الثقة بالمصريين لأنهم مصريون . وكانت الأسر الغنية وصاحبة الجاه لا تعتمد الاً على الاجانب وحدهم . ولكن عبقرية علي ابراهيم سمحت له بالاستثناء . فهل اطأنت تلك النفس الكبيرة الى تلك الحال أو رضيت بهذا النصيب أو ارتاحت الى ان يكون صاحبها وحده هو المستأثر بهذا الامتياز ؟ كلاً . فان علي ابراهيم لم يهدأ بالاً ولم يطمئن نفساً حتى شق الطريق لجميع من توسم فيهم الخير من زملائه واصدقائه . وما زال يجاهد ويناضل حتى وضع المصري في صف الأجنبي ثم خطا به الى الأمام فخلق روح الثقة بيننا وعمل على ان يصل الطبيب المصري بجده وعمله وحبه لفنه كما تعمل الأمم الراقية والشعوب التي وصلت الى أعلى درجات الفن . حتى رأينا في البلاد انقساماً وتحاذلاً في جميع الصفوف ولكن علي ابراهيم — مع ما كان له من رأي معروف في السياسة — واصدقاء علي ابراهيم ظلوا وحدهم موضع الثقة من اصدقائهم وخصومهم على السواء . وكانت الثقة تذهب الى حد أن علي ابراهيم كان موضع سر الخصمين العنيفين والعدوين اللدودين في وقت واحد ذلك درس في تقديس الواجب أرجو ان يتعلمه غير الأطباء على استاذ الطب الاكبر وان يتدبروه . انهم ان فعلوا ذلك خدموا انفسهم وبلادهم اصدق خدمة

أذكر ناحية أخرى . . . . . كنا جماعة من شباب العصر نجتمع مع علي ابراهيم وكان الكثير منا يعنى بلباسه وبما يجلبه من باريس ولندن . اما علي ابراهيم فكان يجلس معنا مفخراً مباهياً طوراً بلهجة الجد واخرى بلهجة الدعابة الطريفة بما يشتري من مصنوعات شرقية وما يلبس من لباس مصري . فأقصدته من حرير دمياط وبدلته من أحمد عبد الرحمن وتحفه من قطع السجاد الشرقي النادرة . ولغته هي لغة الأدب العربي حتى أن الكثيرين ممن ألفوا مجلسه كان يعجبون بلغة هذا العبقرى ويدهشون لما يجدونه عليه من الاطلاع في الآداب العربية . كل ذلك مع عذوبة في اللفظ ورقة في الاخلاق حتى أنك عند ما تستشيريه في مسألة من أعوص المسائل الطبية نجده ينبئك عنها بلغة سهلة وأسلوب واضح ويضع أمامك الجسم الانساني فترى أدق أجزائه كيف يعمل وأعتقد وظائفه كيف يقوم بها من غير عناء ولا إجهاد أيها السادة : — هذه بعض نواحي عبقرية علي ابراهيم أرجو أن أكون كشفت عنها للجيل الجديد . فهو وان شاهد آثارها لا يعرف كيف نشأت . وإني إذ أغادر منبر الخطابة



أرجو أن يدرس شباننا تلك الشخصية الفذة إذن لخطوا ببلادهم وخدموا أنفسهم أحسن الخدمات كما أرجو أن يعد الله في عمرنا بقية وأن يجعله على الدوام مثلاً يقتدى ونبراساً يهتدى وضوءاً بسطع في الملمات

— ٢ —

علي إبراهيم

وكلية الطب

لحضرة صاحب السعادة

الدكتور نجيب محفوظ باشا

سيداتي وسادتي : في اليوم الثلاثين من شهر إبريل سنة ١٩٢٩ عقد مجلس كلية الطب جلسة خاصة لا انتخاب عميد للكلية يخالف المستر مادن . وكانت تقاليد المدرسة الى ذلك الحين تقتضي ان يكون العميد انكليزياً ولكن على الرغم من ان المجلس كان نصفه تقريباً من الانكليز قرر باجماع الآراء انتخاب علي بك إبراهيم عميداً للكلية ووافق على نص القرار الآتي الذي قدمه أحد أعضاء المجلس وهو : « تقديرأ لما أظهره علي بك إبراهيم من المقدرة الخارقة للمادة في ادارة الكلية وتنظيمها في المدة التي كان شاغلاً فيها وظيفه وكيل للعميد واعترافاً بالجهود العظيمة التي بذلها في إعادة تنظيم الكلية وفي نجاحها المطرد في العشرين عاماً الماضية رأى المجلس ان مصلحة الكلية والتعليم الطبي في مصر يقضيان بأن ينتخب عميداً للكلية »

ومنذ ذلك التاريخ أخذ علي باشا على عاتقه ذلك العبء الثقيل فنهض بالمدرسة والمستشفيات ذلك النهوض المدهش الذي كان موضع اعجاب القريب والبعيد . ولما كان من المستحيل علي في الدقائق القليلة المخصصة لي ان أفي عهد علي باشا في العادة حقه من البيان فسأكتفي بسرد بعض الحقائق عن نقط ثلاث لا أرى محيصاً من الكلام عنها . وهذه النقط هي : « المباني » و«مصلحة هيئة التدريس » « وشخصية علي باشا كعميد »

أما عن المباني فاذا شئنا ان ندرك شيئاً من مدى الاصلاح والتحسين اللذين تمّا في عهده فنجدرُّ بنا ان نرجع الى الوراثة اثنتي عشرة سنة ونقابل بين ما كانت حالة المدرسة والمستشفى في ذلك الحين وما بلغت اليه اليوم

كانت الكلية عندما تولى علي باشا ادارتها قد قطعت شوطاً بعيداً في الرقي العلمي والفني حتى نالت من الشهرة العالمية قدراً كبيراً . ولكنها من حيث المباني لم تكن في المقام اللائق بها المعادل لمقامها التعليمي والعلمي فكانت العيادة الخارجية مؤلفة من بضعة غرف مظلمة تحيط بسرداب معتم وضعت فيه بعض مقاعد المرضى . وكان هؤلاء يحشرون في هذا السرداب حشراً يجعل مرور الأطباء الى أقسامهم المختلفة مهمة يعملون لها ألف حساب كل صباح ، حتى اذا



وصلوا الى أقسامهم علقوا ملابسهم الخارجية على مسامير مدقوقة في الحائط بحيث تصبح مرئياً لما يصل اليها من ملابس المرضى من صنف الحشرات وكانت هذه الحال سبباً في اصابة عدد لا يستهان به من أطباء المستشفى بالنيفوس وغيره من الامراض  
اما عنابر المستشفى فكانت تكتظ بالمرضى الذين كانوا يكدسون فيها تكديساً تكاد عواقبه تكون شديدة الحرارة لولا ما اظهرت طائفة المعرضات من مصريات وانكليزيات من التفاني في المحافظة على المستوى الصحي

اما دار المدرسة فلم تكن احسن حالاً . فكانت معاملها ومناحقها وحجر التدريس فيها قليلة العدد والانتساع على الاساتذة والطلبة فضلاً عن ان استعدادها للتدريس والتمرين لم يكن كافياً لحاجة الطلاب . اما اليوم فقد تبدلت الحال وبلغت المدرسة والمستشفيات شأواً يضاهي خير ما يشاهد في ارقى الممالك الاوربية . فقد اصبح في الكلية من المعامل العظيمة وأبهاء التدريس الرحبة ما يفخر به حقاً ناهيك عن المتاحف المتعددة الباقعة حد الاتقان والتي لو جمعت في مكان واحد لألفت مجموعة من أكبر وأهم مجموعات المناحف في العالم أجمع . وفي استطاعتي ان أوكد لحضراتكم أنه لولا النفوذ الشخصي الذي كان يتمتع به علي باشا لدى الحكومات المتعاقبة على اختلاف ألوانها السياسية لما نفذ شيء من هذه الاصلاحات ولما تم بناء ذلك المستشفى الضخم مستشفى فؤاد الاول الذي يعد بحق في طليعة مستشفيات العالم

اما عن تخصيص هيئة التدريس بكلية الطب فلا أخالي مبالغاً اذا قلت ان ما اظهره علي باشا من بعد النظر وحصافة الرأي في اعداد المصريين لتولي شئونهم بأنفسهم جديرٌ بكل اعجاب . فقد تولى ادارة الكلية وليس بين اساتذتها الا ثلاثة مصريين ثم تركها وليس بين اساتذتها من الأجانب الا اربعة . وقد تم كل هذا من غير اخلال بمستوى التعليم او بكفاءة المدرسين . فقد كان سبيله الى هذا مطروفاً بمنتهى الحكمة وبعد النظر . فنذ توليه العمادة ارسل من البعثات في كل فروع الطب ضعي العدد اللازم لمقتضيات التدريس في ذلك الحين . فلما عاد طلبة البعثات الناجحون ألحقهم بمناصب التدريس الصغيرة يترنون فيها تحت ارشاد الاساتذة حتى اذا سنحت الفرصة رقي منهم من ثبت كفاءته رقياً تدريجياً بلا طفرة ولا تمجل وكان من محاسن التوفيق ان نضوجهم وافق اكتمال مباني مستشفى فؤاد الاول . فلما ضوعف عدد الأقسام وزيد عدد الطلبة الى ضعفه وجد من الأساتذة المصريين ومن المساعدين الاكفاء من سدوا الفراغ من غير احتياج الى الاستعانة بعناصر اجنبية . وكان علي باشا يجعل للبحوث العلمية المقام الاول فيحرص هيئة التدريس على القيام بها وبمضد الناجحين منهم ولا شك في انه كان خير قدوة لهم بما كان يقوم هو نفسه به من البحوث النفيسة . وكان لعلي باشا مثل ما لغيره من القادة الافذاذ نظر



ثاقب ورأي خاص في تقدير الكفاءات التي يمتاز بها العاملون تحت إدارته ولم يكن يدخر وسعاً في نهضة السبيل أمام من كان يوليهم ثقته حتى يتاح لهم أن يصلوا بحسن رعايته إلى المركز الذي يستطيعون فيه أن يخدموا العلم والتعليم بما يتوسمه فيهم من الكفاءة والأهلية ومن أجل الخدمات التي أداها علي باشا للعلم في مصر والشرق أجمع تسهيله وسائل الدراسات العليا في كل فرع من فروع الطب وقد لازم هذه الدراسات في أول عهدها شيء غير قليل من الارتباك يرجع السبب فيه إلى الصعوبات التي وجدت في إلحاق الأطباء من موظفي الحكومة بها على أنه منذ تولى علي باشا وزارة الصحة أخذت هذه الدراسات حياة جديدة تبشر بمستقبل حسن إن شاء الله

سيداتي وسادتي : كان عصر علي باشا بلا نزاع عصر الكلية الذهبي وليس غلوّاً أن أقول أن علي باشا هو مؤسس المدرسة الحديثة وأنه استطاع أن يحرك القوة الكامنة في هيئة التدريس بها وأن يجمعها في نهضة مباركة سارت بالمدرسة إلى الأمام سيراً حثيثاً . ومما ساعد علي باشا على بلوغ هذا النجاح تلك الثورة الفكرية التي ساربت الانقلاب السياسي منذ سنة ١٩١٩ والنهضة الثابتة التي تغلغلت في نفوس المصريين مما هيأ لآرائه ومشروعاته بيئة خصبة فأنبث نباتاً حسناً وقد نجحت مقدرة علي باشا بصفة خاصة في إدارته لمجلس الكلية بما أظهره من حصافة الرأي وبعد النظر في الأمور والمقدرة الممتازة في التوفيق بين عناصر المجلس المتباينة . وقد جعل من المجلس أداة لهيئة الناشئين من الأعضاء فقد كان يأنس بأرائهم وبمناقشتهم . ولم يكن يقرر خطة في الأمور الهامة إلا بعد تفكير عميق . فاذا لم تصادف آراؤه موافقة المجلس فلا يفارقه حامله مهما تشددت الحملة على رأيه . ولكنه وهو السياسي الحاذق كان يعتمد إلى الأساليب الدبلوماسية التي له فيها القدر المعلى فينتجي طريقاً وسطاً بينه وبين معارضيه ، ثم يهاجم بعد ذلك نقط الضعف في آرائهم بقوة حجته وسرعة بديته وكثيراً ما كانت دعاية من دعاياته اللذيذة ونكتة من نكاته الحاضرة سبباً في تصفية جو مقفم بالحدة فتتحول المناقشات الحادة إلى حوار هادئ منتج بظفر منه في كثير من الأحوال بكل ما يريد

إن الرسالة التي أداها علي باشا لمصر في إبلاغ كلية الطب إلى المستوى العالي الذي وصلت إليه لجديرة حقاً بكل إعجاب . ولا أنظني أفشي سرّاً إذا قلت أن طريقه في أدائها لم يكن دائماً سهلاً ممهداً ولا خالياً من العثرات والعقبات . وليس من أقل هذه العقبات شأنها ما كان يوحى إليه من الحكومات على اختلاف ألوانها السياسية من التعليمات التي يرى أنها لا تتفق ومصصلحة التعليم في كثير ولا قليل ، بل كانت تخضع لعوامل خارجة عن سياسة التعليم وضارة به . هنا كانت تتجلى إرادته الصلبة ، وقوته التي لا تعرف الهوادة . كم مرة شاهدته في حالة نفسية مرة



يصادم الحوادث ويتلقى الصدمات بآس شديد مؤثراً الاستقالة على الموافقة على أمر لا يتفق مع مصلحة العمل

سيداتي وسادتي : حقاً كانت مدرسة الطب موفقة في كثير من تولوا إدارتها أمثال كلوت والبقلي وعيسى حمدي وكيثنج . وقد كتبت أسماء بعضهم في صفحات الخالدين ، ولكن اسم علي باشا سيظل بينهم كالعالم المفرد مخلصاً في صفحات المجديما ترك في السكينة من الآثار الخالدات

— ٣ —

علي ابراهيم

لحضرة صاحب العزة

ونفوقه في الجراحة

الدكتور محمد عبد الحميد بك

أفأسطيع أن أصور لحضراتكم معالي الدكتور علي ابراهيم باشا جراحاً في بضع دقائق؟ ولكن هل أنتم في حاجة الى هذا التصوير . ومصر من أقصاها الى أقصاها بل مصر بالحدود التي يتمناها لها الحزب الوطني ظلت تحيي ثمار عبقرية الجراحية الفذة . تلك العبقرية التي يخل لي انها فطرية . فقد كانت تبدو عليه في عنفوان شبابه علامات النبوغ . والذكاء ومضاء العزيمة وبعد الهمة ورباطة الجأش والنشاط الذي جعله يدّرع التعب ولا يستريح الى فراغ وجديرٌ بي أن أقول اني لا أستطيع الا أن أرسم لحضراتكم صورة مصغرة في هذه الفترة الوجيزة . ولكن أن اعتبروها مثلاً من شتى صورهِ الجراحية . لقد عرفته منذ نحو سبع وثلاثين سنة يوم كنت طالباً في السنة الثالثة من مدرسة الطب وكان طبيب امتياز في مستشفى قصر العيني . وفي أول مرة رأيته سمعته يقول لأحد ممرضي المستشفى « اذا نجحت عملية هذا المريض والنجم جرحه بالقصد الأول أعطيتك عشرة قروش » ولا أخفي اني استنكرت منه هذا القول بل هذا السخاء . وما كان أظلمني في استنكاري لأنني لم أكن أدرك ما أدركته بعد ذلك اذ أصبحت طبيباً . وهو عنايته بالتعقيم . والتعقيم من أهم الأركان التي بني عليها تقدم الجراحة في العصر الحديث . وكان وقتئذ من المستحدثات الطبية فلم يتمسك بمبادئه ويعتصم بوسائله الا القليل من الجراحين . ولعل الدكتور علي ابراهيم كان من أوائل الجراحين المصريين ان لم يكن أولهم ايماناً به واستمساكاً بمبادئه واعتصاماً بوسائله . وكذلك كان الدكتور علي ابراهيم أول جراح مصري سن سنة المستشفيات الخصوصية

ذلك أنه لما نقل من أسبوط الى مصر اتخذ له عيادة بشارع عابدين وجعل له فيها بعض الأسرة لضيفة مرضاه فيها بعد اجراء العمليات لهم مخالفاً بذلك ما جرت به عادة الجراحين من اجراء العمليات في عياداتهم ونقلهم مباشرة الى بيوتهم أو اجرائها لهم في بيوتهم . فكانت عيادته كأنها مشيف والمشيّف تصغير كلمة مشفى . وسرعان ما اتسعت أعماله الجراحية فها المشيف الى مستشفى



الذي اتخذهُ في شارع الصنافيري . وهذه السنّة التي ابتدعها والتي أخذها عنه غيره قد تبدو لحضراتكم صغيرة الشأن ولكنها بعيدة الأثر في النهضة الجراحية المصرية . ذلك لأنّه هيا فيه جهازاً للأشعة ومعملاً للأبحاث والتحليل المختلفة يوم كانت مستشفيات الحكومة في الأقاليم تخلو منها فإذا دخل المريض مستشفى فحصة فحصة دقيقة واستعان على حقيقة مرضه بالأشعة والأبحاث والتحليل فكان أنّه كان لا يعلن الحرب على المرض إلا بعد التروي والتريث والثقة بالفوز والنصر وإذا ما أعلنها تقلد سلاحه وقام بتخدير المريض طبيب متوفر على التخدير وساعده جراح أو أكثر ثم قام بتمريض المريض بمرضات خبيرات . وهذه أيها السادة هي السياسة الجراحية الرشيدة لأنها جماع العوامل أو العناصر التي تألفت منها الجراحة المصرية وهي التعقيم والتخدير والبحث العلمي وحسن التمريض . وهذا هو السر في توفيقه في أعماله ونجاحه فيها نجاحاً باهراً فطار له صيت وجرى له ذكر وأقبل المرضى على مستشفى اقبالا عظيماً يدخلون فيه حيث تعمل لهم العمليات ثم يعودون الى قواعدهم آمنين سالمين

أما كفاحه في مستشفى قصر العيني وأثره في التعليم جراحاً ومدرساً وباحثاً وموفقاً وأستاذاً فديراً فشرط سنيائي أطول من أن أعرض على حضراتكم الآن وحسي أن أشير إليه . ولو كان لي من الأمر شيء لسميت شارع الصنافيري بشارع الدكتور علي إبراهيم باشا تخليداً لذكرى هذه السنّة واعتزافاً بفضلها على من نالوا الشفاء على يديه الرشيقين تلك الرشاقة الضرورية في الأعمال الجراحية . فقد قال بعضهم لا بدّ للجراح من عين النسر ورشاقة الحسنة وقلب الأسد . ولكن ابن حدة بصر النسر التي ينقض بها على فريسته فيفتريها من حدة بصر علي إبراهيم وحسن بصيرته في الأمراض وتشخيصها وفي العمليات وإجرائها وفي العلاج ووسائله مما تقع الناس وأنقذهم من الأمراض وآلامها . وأين رشاقة الحسنة التي تفكك بالقلوب فتؤجج النار فيها وتريدها اشتعالاً من رشاقة يديه وهو يفتك هما بالأنسجة المريضة والأعضاء المأوفة شقاً وتشريحاً وقطعاً واستئصالاً فقد دفع تلك الرشاقة الأسقام من الأجسام وتكون عليها رداً وسلاماً . وأين شجاعة الأسد من شجاعته في شق النواحي التي يطول ذكرها . وحسي أن أذكر منها أنّه سمح لنا بالاحتفال بعيد الستيني ونحن في زمن ينافس فيه الرجال الكواكب الأبرار في كتم الأعمار حتى لقد يحكى عن ظريف من كبار الموظفين أنّه جلس ذات يوم بين نفر من أصحابه بعد إحالته الى المعاش فقال لهم والله يا اخواني لم تشق عليّ إحالتي الى المعاش إلا لأن امرأتي عرفت أنّي بلغت الستين . وها نحن نعلم اليوم رسمياً أن معالي الباشا قد أوفى على الستين — وبلغتموها — ولعلّ من مزايا هذا الاعلان أنّه أصبح بمأمن من مداعبه بالكبر ، وقد أصبح كبيراً . مدّ الله في عمره ومتعه بالصحة والعافية ووفقه وزيراً كما وفق جراحاً وعميداً ومديراً في ظل حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم



## التأقروه

في عشية أحد الأيام كان المسافر راكباً جواده وسائراً الى الساحل . فوصل في طريقه الى نزل . فترجل عن جواده وربطه الى شجرة امام الباب لانه كان واثقاً بالليل وبالناس شأن اقرانه المسافرين الى السواحل . وبعد ذلك دخل الى النزل مع الداخلين

وعند انتصاف الليل كان جميع من في النزل نياماً فجاء لص وسرق جواد المسافر فلم يدرك به احد

وفي الصباح استيقظ المسافر من نومه وذهب على الفور الى حيث ربط جواده فلم يجده . وبعد أن فحش عنه عرف أن لصاً سرقه في تلك الليلة فتأثر كثيراً على فقده ولكنه حزت بالأكثر على أن بين الناس من يغريه الشرف فيعمد الى السرقة وعند ما عرف رفقاؤه المسافرين بما جرى له تجمعوا حوله وبدأوا ينحون عليه باللائمة معقنين

فقال له الأول : « ما أحقك أيها الرجل ! لماذا ربطت جوادك خارج الاصطبل ؟ »

ثم قال له الثاني : « انني استغربت كيف انك لم تحجل الجواد عند ما ربطته . فما أوفر جهلك ! »

فقال الثالث لرفيقه : « أن السفر الى البحر على ظهور الجياد غباوة من أساسه » وقال الرابع : « أما أنا فاعتقد انه لا يقتني الجياد الا كل بليد بطيء الخطى » فدهش المسافر لبلاغتهم وفصاحتهم في الوعظ والارشاد بعد فوات الأوان ثم قال لهم وهو يميز غيظاً : « أيها الأصحاب عند ما سرق جوادي جاءكم الفصاحة عفواً فاسرعتم الواحد تلو الآخر تعددون هفواتي وزلاتي ولكن يدهشني انكم مع ما أوتيتم من قوة البيان لم يقل أحد منكم كلمة في من سرق الجواد ! »



الاحتفال بعيد الدكتور علي ابراهيم باشا

## نهضة علاج

امراض العيون بمصر في ربع قرن (١)

للدكتور عيسى حمدي المازني بك

مدير مستشفيات الرمد بوزارة الصحة العمومية

﴿مقدمة﴾ دلت الأوراق البردية التي كشفها العلامة إبيرس Ebers والتي كتبت في عهد الأسرة الثامنة عشر — أي منذ ٣٤٠٠ سنة — على ان الرمد الحبيبي والصديدي كانا منتشرين بمصر في ذلك الحين. والواقع ان هذين المرضين، كانا معروفين فيها قبل هذا التاريخ بكثير وتدل وصفات العلاج التي عثر عليها — وتبلغ حوالي ٧٠٠ — على ان أمراضاً أخرى كانت شائعة في البلاد، أهمها: الافرازات الصديدية من العين، والعنات، والشعر ولم يقف آجدادنا مكتوفي الأيدي أمام هذه الأمراض، فجفوت الشعرة التي وجدت في مقابر الدولة الحديثة، والأواني المحتوية على أكسيد الزنك وإكسيد النحاس وسلفات الرصاص والتوتيا وأصناف الكحل، وغير ذلك مما عثر عليه في هذه المقار، تدل على تقدمهم في علاج هذه الأمراض غير أنه يجب ان نقرر أن المعالجة في تلك الأزمنة — بمعرفة أطباء مهرة — كانت في حدود ضيقة، إذ كانت مقصورة على الخاصة من المصريين. وكان هؤلاء الأطباء المهرة قليلين، لما عرف عنهم من عدم إذاعة أسرار صناعتهم وجعلها وقفاً على ذويه من بعدهم فقاومة امراض العيون في مصر ومكافحتها بالمعنى المقصود، لم تكن معروفة في ذلك التاريخ وما تلاه من العصور المختلفة إلى اوائل القرن العشرين

فمصر، منذ نشأتها إلى اوائل هذا القرن، كانت مرتعاً خصيباً لأمراض العيون وعلى الأخص الرمد الحبيبي والرمد الصديدي، وقد كانت احوال البلاد وظروفها — لسوء الحظ — مساعدة على تشي هذه الأمراض الويلة تفشياً مريباً: فحرارة الجو، وفقر الاهالي، والأمية المنتشرة بينهم، وما يتبعها من الجهل بوسائل الوقاية، وعدم مراعاة النظافة، وسوء التغذية — هذه جميعاً، كانت اسباباً قوية لا تنتشار هذه الأمراض. يضاف إليها سبب آخر: هو جهود حكومات تلك

(١) نشرت مع رسائل أخرى علمية في العدد التذكاري الممتاز من المجلة الطبية المصرية



الأزمة فلا مجالس محلية ولا تنظيم ولا خلافة مما يعنى بالنظافة او يساعد على المحافظة على الصحة بوجه عام هذه العوامل مجتمعة ، والبلاد محرومة من وسائل التدوي والعلاج بطريقة عملية او فنية، جعلت الناس يلجأون في معالجة عيونهم الى الوصفات المتداولة والعقاقير والأحجبة وما الى ذلك مما كان شائماً . شأنهم في ذلك شأنهم في علاج الامراض الاخرى ، مما كان يجلب لهم الضرر من حيث أريد النفع . ولو أنحفنا التاريخ بسجل واحد، زجع اليه لمعرفة عدد حالات العمى ونسبتها الى عدد السكان في أي عصر من تلك العصور، لوجدنا منه العجب . ولكن المؤكد والمعروف ان هذا العدد كان كبيراً جداً كما ان الرمد الحبيبي كانت نسبة اصاباته مائة في المائة تقريباً ﴿ ابتداء مكافحة الأرماد بطرق فنية حديثة ﴾ ولما شرعت البلاد تنفض عن نفسها غبار عشرين قرناً خلت ، وبدأت نهضتها بعد هذا السبات العميق تأخذ مكانها في الوجود ، كان طبيعياً ان تتجه الأفكار الى كثرة أمراض العيون التي توطنت بالقطر المصري ، وما تسببه من انلاف البصر ، والى ضرورة تنظيم حملة لمكافحة هذه الأمراض ، وبذل المهمة لمنع العمى واجتناب الخسارة المادية التي تصيب القطر من جراء إصابة الكثيرين من الأهالي بهذه العاهة التي تمنعهم عن العمل ، وتحول دونهم وأبواب الرزق ، وأغلبهم من طبقة الفلاحين وهم السواد الأعظم من السكان

وقد كانت الخطوة العملية الأولى في هذا السبيل في سنة ١٩٠٢ عندما انعقد المؤتمر الطبي الدولي بالقاهرة في ذلك العام . فقد اجتمع القسم الرمدي من ذلك المؤتمر وحضره أطباء العيون الذين كانوا بمصر إذ ذاك — وطنيون وأجانب — وتناولت أبحاثهم موضوع مكافحة أمراض العيون بالقطر المصري . وكان من نتيجة هذا الاجتماع ، أن أنشئت الجمعية الرمدية المصرية من أعضاء لا يزيدون على عدد أصابع اليد . وبدأت هذه الجمعية تعمل من ذلك الحين ، ونشاطها في اطراد وأبحاثها في نمو، وأعضاؤها في ازدياد حتى بلغوا ٦٧ عضواً في سنة ١٩١٥ ، و ٢١٣ في سنة ١٩٤٠ ﴿ أركان العلاج الرمدي بمصر ﴾ يقوم أساس العلاج الرمدي بمصر على خمسة أركان وهي: (١) — المستشفيات الرمدية (٢) — العيادات الرمدية بالمدارس والكتاتيب (٣) — نشر

الدعوة الصحية (٤) — الابحاث الخاصة بأمراض العيون (٥) — تعليم فن الرمد للأطباء ﴿ المستشفيات الرمدية ﴾ كان من حسن الحظ ان تبرع المرحوم السير ارنست كاسل في يناير سنة ١٩٠٣ بمبلغ ٤٠ الف جنيه ، لينفق ريعه في تدريب الأطباء المصريين على معالجة أمراض العيون ، وبعد عمرينهم تمريناً كافياً يعالجون المرضى بالخبان. وقد أنشئ من مال هذه الهبة مستشفى متنقل يجول في الاقاليم ، افتتح في ١٠ يناير سنة ١٩٠٤ ، وفي اوائل سنة ١٩٠٥ أنشئ مستشفى متنقل آخر . وبهذا وضع الاساس الفعلي للنهضة العلاجية التي نحن بصدددها ، وهي التي قوضت أركان الفوضى الضاربة أطباها في ربوع هذه البلاد اكثر من عشرين قرناً



وكانت المستشفيات المنقلة الأداة الأولى لمكافحة الازماد بالقطر المصري ، عند ما بدىء بمكافحتها مكافحة منتظمة في سنة ١٩٠٤ ، إذ استقر الرأي وقتئذٍ على إنشاء مستشفى متنقل للقيام بهذا العمل ، على مثال ما كان موجوداً حينئذٍ في روسيا حيث أسس الاستاذ بل زارفينوف هناك مستشفى متنقلاً أسماه المستشفى الطيار لمقاومة الازماد

وأهم ميزة تتصف بها هذه المستشفيات ، هي أنها تتولى المعالجة الرمديّة في أي مكان ، وتنقل الاسعاف والعلاج الى الأهالي في أي جهة . وفي سنة ١٩٠٦ ، أضيف مشروع معالجة أمراض العيون الى مصلحة ( وزارة ) الصحة ، وأضيفت هبة المرحوم السير ارنست كاسل الى ميزانية الوزارة ولما لمست البلاد الفوائد الجليلة من هذا المشروع الجديد واستشعرت آثاره في مكافحة أمراض العيون ، سارت في تعميمه بخطى واسعة . فلم يحل عام ١٩١٥ حتى بلغ عدد مستشفيات الرمد ١٦ وفي عام ١٩٤٠ ( حيث يحتفل بالعيد الستيني لحضرة صاحب المعالي الدكتور علي باشا ابراهيم وزير الصحة ) بلغ عددها ٨٧ ، ساهم في انشاء بعضها كرام الأهالي ومجالس المديرية والمجالس البلدية والمحلية . وكان لهذه المعاونة ، أثر عظيم في سرعة تعميم هذه المستشفيات ، وتجهيزها بأحدث الآلات والأجهزة الرمديّة ، وتزويدها بأقسام داخلية بها ٣٥٦٣ سريراً

وقد أصبح الآن بكل مديرية مستشفى رمدي متنقل خاص بها ، يزور أنحاءها المختلفة ويمك بكل جهة منها مدة كافية من الزمن لعلاج مرضاها ، ثم ينتقل منها الى جهة أخرى وهكذا كما أنه يوجد الآن في جميع المحافظات وعواصم المديرية وأغلب المراكز وبعض القرى ، مستشفى أوفرع رمدي ثابت . والهمة مبذولة لتعميم هذه المستشفيات والفروع في بقية الجهات الاخرى وبالمقابلة بين الأعمال الاكلينيكية التي تمت بمستشفيات الرمد في سنة ١٩١٥ وسنة ١٩٣٩ ، تبين مقدار الجهود العظيم الذي ما فتئ يبذل لتوفير سبل العلاج في جميع أنحاء القطر

١٩٣٩	١٩١٥	
٨٦	١	عدد المستشفيات
٤٠٠٢٩	٢٢٧٤	مرضى عولجوا بالأقسام الداخلية
١٥٢٠٩٨٣	٥٢٧٥٢	مرضى عولجوا بالأقسام الخارجية
٩٥٧٤٣١٣	٧٣٥٩١٩	زيارات المرضى للعيادات الخارجية
٣٩٠٤٣٩	٤٢١٤٦	عمليات أجريت
١٠٤٩٤٨	١٩١٤٩	عمليات شعرة

هذا بخلاف بعض المستشفيات الأخرى غير التابعة لوزارة الصحة ، وأهمها : قسم الرمد



بمستشفى قصر العيني، ومستشفى قلاوون التابع لوزارة الأوقاف ومستشفى فؤاد الأول التابع لبلدية الاسكندرية، وقسم الرمد بمستشفى المواساة، وجميعها تساهم بنصيب كبير في مكافحة امراض العيون ولم يكن الاهتمام بمكافحة امراض العيون مقتصرأ على حاجة أهل المدن والقرى التي بها مستشفيات رمدية، بل شمل أيضاً محافظات الحدود، حيث يندب لها من وقت لآخر أطباء من قسم الرمد لفحص أهاليها وعلاجهم وعمل عمليات لهم. وفي سنة ١٩٣٨ زار مستشفى رمدى متنقل الواحة الخارجة والواحة الداخلة، ومكث بكل منهما أربعة شهور. وظل أطباء قسم الرمد يزورون معاهد أخرى في مواعيد منتظمة: كمستشفى الأمراض العقلية بالعباسية والخانكة، ومستعمرة الجذام بأبي زعبل، ومستشفى الحيات بالعباسية، وملجأ الأطفال بالقاهرة. وذلك لفحص أمراض العيون بهذه المعاهد وعلاجهم، لتعذر إمكان إرسالهم الى مستشفيات الرمد

﴿العلاج بالمدارس والكتاتيب﴾ وكلما انشئ مستشفى رمدى ثابت أو متنقل بجهة ما، يقوم قسم الرمد بعلاج تلاميذ المدارس والكتاتيب في هذه الجهة. وهذا العلاج على نوعين: (اولاً) علاج تلاميذ مدارس ابتدائية أميرية، انشئ في كل منها عيادة رمدية مجهزة بجميع الآلات والأدوية التي يحتاج اليها العلاج. فيتوجه الطبيب الرمدى ومساعد له لمباشرة هذا العلاج بنفسه بالمدرسة. ويبدأ العلاج عادة من أوائل نوفمبر، وينتهي في أواخر مارس من كل عام، حيث يعمل كل ما يحتاج اليه التلاميذ من عمليات صغرى وكبرى ونظارات وقد بلغ عدد هذه العيادات في الوقت الحاضر ٤١ عيادة منها ١٧ بالقاهرة و ٤ بالاسكندرية والباقي بالأقاليم. والجدول الآتي يبين عدد التلاميذ الذين فحصوا عند بدء الفصل العلاجي في أوائل نوفمبر سنة ١٩٣٩، وعدد من وجد عندهم رمد حبيبي شديد، ومن وجد عندهم رمد حبيبي خفيف. كما يبين هذه الحالات بعد العلاج، أي في أواخر مارس سنة ١٩٤٠. ومنه يتضح ان حالات الرمد الحبيبي الشديدة قد قلت كثيراً عنها في أول السنة:

عدد التلاميذ الذين فحصوا		رمد حبيبي شديد		رمد حبيبي	
سليم		درجة ١ و ٢		درجة ٣ و ٤	
قبل العلاج	بعد العلاج	عدد	النسبة المئوية	عدد	النسبة المئوية
١٤٩٨٠	٨٥	٤٦٩١	٣٦٪	٨٢٠٤	٦٣٪
١٢٦٥٣	٧٩	١٧٠٠	١٣٪	١٠٨٧٤	٨٦٪

(ثانياً) في المدارس الابتدائية، التي ليس بها عيادات رمدية، يزورها في نوفمبر من كل عام أطباء المستشفيات الرمدية في الجهات التي بها هذه المدارس ويفحصون جميع التلاميذ، ويضون بالاتفاق مع المدرسة النظام الذي يكفل إجراء العلاج اللازم للتلاميذ والمعالجة الرمدية



بالمدراس الابتدائية الاميرية، يقوم بها أطباء قسم الرمد بوزارة الصحة بناءً على موافقة وزارة المعارف والاسباب التي تدعو الى ضرورة علاج التلاميذ بمعرفة اطباء قسم الرمد، هي : ١ - أن تشخيص الرمد الحبيبي والصديدي وغيرها من امراض العيون، لا يسهل على الطبيب العادي إجراؤه. ومن الواجب ان يعهد بعلاجه إلى طبيب اخصائي، اتقاء لما عساه أن يحصل من الخطأ في التشخيص والمداواة ٢ - ان خفض قوة إبصار التلاميذ بدقة، ووصف النظارات اللازمة لهم، لا يحذقه سوى طبيب اخصائي ٣ - علاوة على صعوبة المحافظة على نظارات التلاميذ، لانها كثيراً ما تنكسر بسبب اهلهم. ثم إن جعلها مطابقة للتغير المستمر في الاستجماتزم الناتج عن التغير في نفوس القرنية الناشئ عن الرمد الحبيبي، من الأمور الصعبة. إذ أنه متى وصفت نظارات اسطوانية لتحسين مثل هذه الحالة، فكثيراً ما يستدعي الأمر تغييرها بعد عدة شهور

﴿ نشر الدعوة الصحية ﴾ إن وجود المستشفيات الرمدية بنوعها - وخصوصاً المتنقل منها - هو خير واسطة لبث الدعوة بين سكان القطر، وحثهم على الاهتمام بمعالجة أمراض العيون الكثيرة الانتشار بينهم، وتحذيرهم من أضرارها وويلاتها، وإرشادهم الى المحافظة على سلامة عيونهم. ففي هذه المستشفيات، تلقى محاضرات على المرضى للمحافظة على سلامة العيون وتوزع إعلانات حاوية للإرشادات اللازمة عن كيفية اتقاء العدوى، وتلقى محاضرات باللغة العامية على جماهير النساء المترددات على العيادة الخارجية تتناول كيفية تنظيف أطفالهن والعناية بعيونهم كما تلقى النصائح المناسبة على المرضى يومياً

﴿ الابحاث الخاصة بأمراض العيون : وعلى الأخص اكتشاف جرثومة الرمد الحبيبي ﴾ في سنة ١٩٢٣، تبرعت لجنة المدافن البريطانية بمبلغ ٦٦٠٠ جنيه، لبناء معمل رمدى على أرض من املاك الحكومة الملاصقة لمستشفى الرمد بالحيزة، تحليداً للذكرى من قتلوا من المصريين في الحرب العظمى من فرقتي العمال والجمالة. ومنحت الحكومة المصرية اعتماداً قدره ألفا جنيه لتأثيثه. وقد تم بناؤه وتسليمه في ٢٦ يناير سنة ١٩٢٥. ولما كان معظم المال الذي ينفق على هذا المعمل من موارد انجليزية وهي تشمل ربع مبلغ ٤٠٠٠٠ جنيه الذي تبرع به السير أرنست كاسل وكان مضافاً الى إيرادات الخزينة، وربع مبلغ ٣٢٠٠٠ جنيه الذي تبرعت به جمعية الصليب الأحمر البريطانية، وتدفع الحكومة المصرية مثله، فقد اتفقت الحكومة المصرية والسفارة البريطانية على أن يوضع الاعتماد المخصص لذلك في البنك الأهلي باسم الحساب المشترك تحت إشراف لجنة خاصة، وان يعين للمعمل اخصائيان من الاوربيين: أحدهما مديراً للمعمل وجراح شرف للمستشفى ويكون اخصائياً في الجراحة الرمدية، والثاني اخصائياً في الباثولوجيا الرمدية، وبعاونهما طبيبان من الأطباء الرمديين المصريين. ويوجد به الآن كامل



موظفيه ومستخداميه . ولا تقتصر فائدة هذا العمل على كونه معهداً لتعليم فن الرمد بمصر والتخصص فيه فحسب ، بل هو معهد للأبحاث في الآفات الرمدية المنتشرة في القطر المصري ، ومنها : اكتشاف ميكروب الرمد الحبيبي وطريقة عدواه ، وليس أولى من مصر وهي مرتع هذا الداء الويل من اكتشاف سببه

﴿ تعليم فن الرمد للأطباء ﴾ لما كان معظم الأطباء الذين تحتاج اليهم مستشفيات الرمد من خريجي كلية الطب المصرية ، فقد وضع نظام كفيل بتدريب الأطباء المعنيين حديثاً بالمستشفيات الرمدية على هذا الفن علمياً وعملياً . وهذا النظام يشمل الفاء محاضرات علمية وعملية في فن الرمد ، مدة شهر كامل في كل ستة شهور ، بمعرفة أطباء المعمل الرمدي التذكاري بالجيزة ومدير قسم الرمد ومساعديه من المفتشين

وقد بدى بهذا النظام منذ سنة ١٩١٢ ، وكانت هذه المحاضرات تلقى لغاية سنة ١٩١٨ في احد مستشفيات الرمد بالأقاليم ، حتى أمكن تخصيص مستشفى كبير من الخيام بالجيزة لهذا الغرض والآن يجري تعليم الأطباء على وجه أتم ، وتمرينهم التمرين الكافي بمستشفيات الرمد بالجيزة والخيام وروض الفرج والخليفة وبفرع الرمد بمستشفى الدرداش وقد تخرج من مستشفيات الرمد لغاية سنة ١٩٤٠ حوالي ٣٠٠ طبيب رمدي . ونظراً لانساع نطاق الأعمال الرمدية بالقطر المصري ، وازدياد عدد وحدات الرمد وأطبائها ، رأت الوزارة ضرورة إيفاد بعثات علمية وعملية الى اوربا للتخصص في فروع الرمد بأنواعها . وقد بدأت الوزارة في إيفاد هذه البعثات من سنة ١٩٢٣ وقد بلغ عدد من أوفدوا فيها لهذا الغرض عشرة أطباء

وارجو أن أنوّه بالتقدم الباهر في قسم الرمد في القصر العيني ، وما يؤديه من خدمات للمرضى ، فضلاً عن أنه عماد تدريس هذا العلم لطلبة الكلية . ولم يكن به سابقاً سوى استاذ ومساعد واحد ، إلا أنه أصبح بفضل رعاية حضرة صاحب المعالي علي باشا ابراهيم يشمل قسمين لكل قسم استاذ ومساعد وجراح ومعيد وطبيب امتياز . ولقد انشئت به درجة للتخصص في الرمد سيشارك فيها أطباء قسم الرمد بوزارة الصحة ، ويتعاون رؤساء هذا القسم مع اساتذة الكلية في التدريس لهم ، حتى يحصلوا على هذه الدبلوم التي يكون من شأنها ترقية حالهم علمياً ومادياً

﴿ مكافحة العمى وعلاج الرمد الحبيبي والصديدي ﴾ هذه الوسائل التي تكافح بها امراض العيون في هذه الأيام كان من نتيجتها انخفاض نسبة العمى بين المرضى الذين يكشف عليهم في مستشفيات الرمد وقد كانت ١٧ر٤ في المائة في سنة ١٩١٥ فأصبحت ٤٧ر٤ في سنة ١٩٣٩ بما في ذلك العور . أما نسبة العمى بحسب تعداد السكان ، فقد كانت ٤٣ر٣ في الألف في سنة ١٩١٧ و٨ر٥ في سنة ١٩٣٧ ، خلاف العور



وهذه النسب لا يمكن ان تعطي صورة صحيحة للعميان في مصر ، لأن كثيراً من الناس يفرون من الاعتراف بعماهتهم ، ولا سيما العميان . كما ان الأعمى في عرف الناس ومنهم العدادون هو الذي لا يبصر شيئاً مطلقاً ، بينما التعريف الفني المصطلح عليه هو « كل شخص لا يقدر على عد أصابع اليد على بعد متر » . ومن هنا يتضح أن عدد العميان الحقيقي بحسب الاصطلاح الفني يجب ان يكون أكثر من عددهم بحسب الإحصاء . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن المرضى الذين يحميئون المستشفيات للعلاج لا يدخل في حسابهم العميان الذين لا يرجون الشفاء ، لأنهم لا يذهبون الى المستشفيات للعلاج وكذلك المرضى الذين يقصدون العيادات الخصوصية . ونسبة العميان بمصر ما زالت كبيرة ، بالقياس الى غيرها من الممالك الأخرى بحسب تقدير الأستاذ فوكس ، كما يتضح من الجدول الآتي المأخوذ من دائرة المعارف الأميركية الرمديفة صفحة ١١٢٥ :-

الممالك	نسبة العميان في كل الف نسمة	الممالك	نسبة العميان في كل الف نسمة
هولندا	٠ ر ٤٤	انجلترا	٠ ر ٨٨
كندا	٠ ر ٦٢	الولايات المتحدة	٠ ر ٩٧
فرنسا	٠ ر ٨٤	الجمهورية الفرنسية	٢ ر ٥٣
المانيا	٠ ر ٨٥	روسيا	٢ ر ١٠

على ان الأمل معقود على انخفاض النسبة في مصر في المستقبل : بتعميم العلاج الرمدي في أنحاء القطر ، وتحسين الحالة الصحية العامة ، ونشر التعليم بين الأهالي . واهم الامراض التي يسبب عنها العمى في مصر إثنان ، هما : الرمد الحبيبي والرمد الصديدي الحاد

\*\*\*

﴿ الرمد الحبيبي ﴾ هذا المرض مصاب به أكثر من ٩٢٪ من السكان ، ومع أنه في معظم الأحوال لا يكون عادة السبب المباشر للعمى ، إلا أنه من أهم الأسباب في ضعف البصر . وينشأ عنه ألم شديد ، لأنه : ١ - يسبب عتامات بالقرنية تضعف البصر ، ويسبب الشعرة أيضاً وهذه باحتكاكها المستمر بالقرنية ، تنشأ عنها قرح وعتامات كبيرة تنتهي بفقد البصر ٢ - يجعل المنحمة عرضة للالتهابات الحادة

والنسبة العالية للعصابين بالرمد الحبيبي من المصريين ليس مبالغاً فيها ، إذ قد تحقق ان نسبة المصابين به في المدارس تبلغ ٩٢٪ . وهؤلاء عادة أحسن حالا في معيشتهم من طبقة العمال والفلاحين ﴿ الرمد الصديدي الحاد ﴾ تقدر نسبة ما يحدثه هذا الرمد من أسباب العمى في الحالات



التي تفحص بوحدة الرمد بمقدار ٨١ ٪ ، وذلك لأن فتحة سريع ذريع . وهذا ثابت من الاحصاء الآتي لسنة ١٩٣٩ :

٧٤ ١٦٦

عدد المصابين بمجموع أسباب العمى

٦٠ ٦٣٣

عدد من يصابون بالعمى بسبب الرمد الحاد ومضاعفاته  
وبما هو جدير بالذكر أيضاً ، أن هناك ثلاثة أسباب رئيسية للعمى تلي السببين المتقدم ذكرهما في المنزلة ، وهي : الغلو كوما والكتار كوما وضمور العصب البصري . ولا يخفى أن معظم هذه الأمراض المسببة للعمى ، وأخصها الرمد الصيدي والحبيبي ، تصيب عامة الشعب من الفقراء وهم السواد الأعظم من السكان . وثابت أيضاً ، أن السبب في انتشار هذه الأمراض بتلك الكثرة ، هو انتقال ميكروباتها بالعدوى . وأول واجب علينا في هذه الحالة ، هو علاج المصابين لمنع انتشار العدوى من المريض الى السليم . ولا بد من القول : بأنه قد فحست في المدة الماضية جميع الوسائل اللازمة لمقاومة الأرماد في مصر ، ولم تدخر وسيلة ما لبحث كل اقتراح قدم بهذا الشأن . وقد استقر الرأي أخيراً على ما تقدم ذكره من الوسائل ، وقد ظهر من الاستقراء أن أكثر من نصف المصابين بأمراض العيون في القطر ، تستدعي حالتهم إجراء عمليات لهم . ولأجل نجاح ضمان هذه العمليات يجب أن تستوفى فيها جميع أسباب النعيق في مكان عملها ، وأن يتولى مساعدة الطبيب ممرضون مهرة ، ومن ذلك يتضح أن الالتجاء الى الطرق الرخيصة في مقاومة أمراض العيون بمصر ، ومعالجتها في غير المستشفيات ، لا يأتي بشجرة ، بل ربما يضر

ولقد كان من أثر هذه النهضة ، أن انظار الهيئات الطبية في الخارج ، اتجهت إلى مصر وقدرت مكانتها العلمية والعملية وتقدمها في علاج أمراض العيون ، فدعتها للاشتراك في المؤتمرات الدولية الرمدية . وفعلاً اشتركت الحكومة المصرية فيها . وأرسلت مندوبين رسميين عنها في المؤتمر الذي انعقد في أمستردام في سنة ١٩٢٩ وفي مدريد سنة ١٩٣٣ . كما اشتركت الجمعية الرمدية المصرية فيهما ، وكان لها فيها ممثلون كذلك . وفي مؤتمر مدريد ، وجهت الحكومة المصرية دعوة رسمية لعقد الدورة الخامسة عشرة بالقاهرة ، وقد قبلت الدعوة وانعقد المؤتمر بالقاهرة في المدة من ٨ - ١٤ ديسمبر سنة ١٩٣٨ ، واشترك فيه نحو ألف من مختلف اقطار العالم

ومن دواعي القبطة والسرور ، أن هذا المؤتمر قد نجح نجاحاً عظيماً جعل الكثير من الأطباء الذين حضروا جلساته يثني عليه . وقد أعجبوا كثيراً بتقدم الثقافة الرمدية في القطر المصري كما أعجب المؤتمرين أيما إعجاب بمستشفيات الرمد المصرية عند زيارتها وقد اتخذ كل من المجلس الرمدي الدولي ، والجمعية الدولية لمنع العمى ، والعصبة الدولية لمقاومة الرمد الحبيبي ، أطباء مصريين ليكونوا أعضاء فيها



## جايمس رسل لوويل

لمحمد عبد الغني حسن

لم تحتل أميركا قبل بزوغ شمس القرن التاسع عشر مكاناً رفيعاً في عالم الأدب العالمي . فقد كانت قبل ذلك طفلة في الوجود لا ماضي يتصل به حاضرها ، ولا تديم يرجع إليه حديثها . ولما شبت عن الطوق وكادت تستوي على قدميها شغلتها حروب استقلالها ولم يجرؤ أحد في تلك الأيام أن يثني على شاعر أميركي أو يقدر مواهبه . ولعل شعراء كثيرين ظهوروا في هذه الفترة إلا أنهم كانوا مغمورين كشعراء ما قبل العصر الجاهلي في الأدب العربي . حتى جاءت مجلة « أدنبره » فتكففت بتقديم الشعراء والكتابات الناشئين الى قرائها ولعل أغنى مقاطعات الولايات المتحدة بالكتابات والشعراء الطبيعيين هي منطقة ولايات « انكابترا الجديدة » . فهناك على الصخور العبل بولاية « هامشير الجديدة » وعلى شاطئ نهر « ميرماك » الجليل كانت الحياة زاخرة بالحركة الدائمة . وكانت تتجاوب في أجواء هذه الولاية أصداء متباينة ، ترسلها أجراس المصانع وجمليات المعامل المشيدة حديثاً ، وكانت الجلبة تزداد كل يوم تبعاً لتزايد حركة البناء . . . . وتعال في السماء أبراج الكنائس . وتزاحمت في الأرض الفضاء والقرى والمدائن . وأخذت هذه الولاية الناشئة سبيلها في الحياة الجديدة للعالم الجديد بسرعة ونماء . ومن عجب أنه بجانب هذه الحركة المادية الصناعية البازغة لم تظهر حركة عقلية تسايرها وتحاذيها . فهنا النهر الجليل الذي يماظره الساحرة ولكن ليس على شاطئيه شاعر . . . . وهناك الغابة الكثيفة او الحديقة ولكن ليس بين حراجهما متأمل . . . . وهنا أجناس من الخلق مختلفة ولكن ليس فيهم مؤرخ يقص تاريخهم أو يسجل حياتهم وكأن أصوات هذه الضوضاء العاجية ، والجلبة الصاخبة ، والمشاكل المادية ، حرّكت بعض العقول من سباتها ونبهتها الى جمال الهدوء في ظل الأدب ، والسكون في خفايا العلم . فانتشرت المدارس وظهرت الجرائد . وامتلأت بوسطن وكامبريدج بالمدارس ( Grammar Schools ) وكانت هذه المدارس على نقل برامجها وقدم طرائق التعليم فيها وقسوة معاملها صاحبة الفضل الأول في تغذية الروح الأدبي في هذه المقاطعة . وتتابعت السنوات وانكابترا الجديدة تنمى في



سبيل النهضة العلمية الأدبية بخطى سراع . ولم يزل القرن التاسع عشر حتى كان فيها جماعة من الرياضيين والعلماء أمثال « يوسف ستوري » و « وليم برسكوت » و « بيكرنج » المستشرق العربي واللغوي الذي أجاد عشرين لغة ، وبلودنش الرياضي وأخذت شهرة انجلترا الجديدة ترتفع بسرعة عجيبة في عالم الأدب . وأتاحت لها الأقدار السعيدة أن يجتمع فيها في النصف الأول من القرن التاسع عشر جماعة من أعلام الأدب الأمريكي ، ولدوا فيها وشبوا ونشأت بينهم وشائج وثيقة . ووضعوا الثروة الأولى في كنز أدب أميركا . كما وضع الجاهلون الثروة الأولى في كنز أدب العرب . وأصبحوا نجوماً ساطعة في سماء الأدب العالمي يقرأ لهم ويحفظ عنهم ويعتد بهم . وفرضوا على العالم — وكان بالأمس مغضياً عن أميركا الأدبية — أن يستمع إلى الهام شعرائها ووحى كتابها وتناج أدبائها . وعلى رأس هذه الجماعة ، لونج فيلو ، وأمرسون ونورو ( وقد تحدثت عنه في مقتطف يناير سنة ١٩٣٩ ودانا « الابن » ولويل وألكوت

\* \* \*

وحديثنا اليوم عن جامع رسل لويل . وقد ثنينا به الحديث عن هنري نورو لأنها شربا من نبع من الطبيعة واحد . فهما ابناها الفارقان في بحرهما اللحي . الراشقان من حلاوة خمرها . وإذا كان نورو قد خرج إلى غابة « والدن » وغديرها . وعاش فيها أكثر من عامين بعيداً عن الناس ، مؤتسماً إلى طيرها الساجح وسماكها الساجح أو عطرها الفائح ، فإن لويل اتخذ من شباك غرفة مطالعته مرقباً يطل منه على حديقة يلاحظ أشجارها ، ويراقب أطيوارها ، ويدون أخبارها وآثارها نشأ لويل في كامبريدج الأميركية وهي مهد كثير من الأدباء . فكان أذكى شبابها وأكثرهم توقد ذهن ، وحضور بديهة ، وقد أدرك هو نفسه هذا الذكاء فداخله شيء من الزهو والغرور . وكانت نيران الفتنة لا تنطفئ بينه وبين أترابه . إلا أن شيئاً من خفة الروح الكامنة فيه كان يلطف حرارة هذه النيران . ولقد بدأت طلائع نزوعه الأدبي تظهر في صباه . فهو ميال إلى الكتب منهم إلى قراءتها . وهو يحب للازهار هائم بها . وهو يضيف إلى ذلك ملامح السرور البادية على وجهه حينما تراه يقرأ أو تسمعه يتكلم أو تشاهده يدخن . ولكن شيئاً من كسل الشعراء لازمه . فهو يستطيع أن يطرح على ظهره أياماً طويلة غارقاً في أحلام لا انتهاء لها أو ساجحاً في ديوان من الشعر . وطالما عاودته نوبات غريبة كان يغيب فيها عن حسه ويذهب في عالم بعيد ... وما أكثر هذه النوبات حينما يتفتح شهر يونيو في أميركا عن عاصفة من أزهار الصيف . وكذلك أشبه صاحبنا « دانا » الابن في معاودة هذه النوبات

هناك في منزل ريفي كبير نشأ لويل . وهو منزل يطل على غياض واسعة وحقول مترامية يضمها في الصيف رائحة الهشيم الذي يلقطه « لويل » عابثاً به بين أصابعه . وكانت عمته الآنسة



ماري لويل تقرأ له في الحقل أشعار شكسبير فينام على أنغامها ، كأنها ترانيم المساء ... وكانت هذه العمة أدبية ضليعة فهي تحيد اثنتي عشرة لغة . أضافت إليها لغة المجر وبولونيا ولقد ساعدت الظروف مجتمعة على تنشئة « لويل » تنشئة أدبية . فعمته كما عرفت أدبية لغوية . وأبوه يملك مكتبة تزخر بالنفيس من الكتب . وشباب كامبريدج من آراب لويل ولداته اشتهروا بذوق أدبي خاص . والطبيعة من حوله ساحية جميلة حتى في ساعات عبوسها . . . والظروف كلها مواتية فلم لا يقرأ ؟ ولم لا يفهم ما يقرأ ويستوعبه ؟ . ولم لا يعلق على ديوان هذا أو كتاب ذاك ؟ وفوق ذلك ان الطبيعة أمامه سفر مفتوح وكتاب مسطور فلم لا يقلب طرفيه فيها هذه خزانة أبيه عامرة بالكتب . فالיום لسقراط . وغداً لأفلاطون . وبعد غد لسنكا الحكيم . وكانت طلاقة لسانه في اللاتينية لا تقل عنها في الانكليزية . فاذا بدأ الكلام لم تبهر أنفاسه . ولم يحتبس لسانه . وكان دقيق النظرة كما كان دقيق الفكرة . وكذلك شأن شعراء الطبيعة وكتابتها . فما مرت حادثة في حديقة الأُسجُلها وعلق عليها والنس لها تأويلاً وتفسيراً . ولا قامت معركة بين طائرَين إلا شاهد حوادثها وعرف تفصيلها . ولا حظ غراب ليشرَب إلا عدَّ كم مرة بلل ريشه وكم مرة ألقي منقاره . وكان أبوه يأخذه الى مخزن الغلال يراقب الطيور المهاجرة قبل أن تشد رحالها وترمع رجليها .. وكان لا يبالي ان يقف الساعات الطوال يستمع الى تغريدة من طائر الى أليفه . ولم يعلَّ أيضاً أن يسهر الليل ليسمع طائر السكوكو ( وهو يغني كما تدق الساعة السويسرية )

ومن شباك غرفته المظلة على الحديقة ، نَم من ذلك الشباك العتيق ذي الطراز الأول كتب لويل كتابه « من شباك غرفة مطالعتي » . وكان أول فصل من فصول الكتاب وصف بديع « لمعارف واصدقائه في الحديقة » ومن غير طيور الحديقة أولى بصداقة لويل ومعرفته ؟ لقد وصفها وهي تحتل حبات التوت او تلتقط حبات الفراولة . وصفها وهي تحط جماعةً وتطير جماعةً . وصف جماعة منها ( وهي تغني كُتُبَاد النار حول النار — في غير انسجام ولا تساوq ) وليس الكتاب كله صورة للطبيعة ، أو وصفاً للحديقة . ففيه فصول تناول فيها ترجمة الذين نراهم أو عرف أدبهم . فهناك فصل تمتع عن « ابراهام لنكولن » وآخر عن « جيمس برسيغال » وثالث عن هنري ثورو معاصره . ورابع عن « تشوسر » الانكليزي . وخامس عن « بوب » فهو نوع من كتب النقد الأدبي نجت فيه مواهب لويل وبمزاياه وسعة اطلاعاه وقراءاته تتلمذ لويل على امرسون وتأدب بأدبه . وكثيراً ما ذهب الى « بوستون » ليسمع محاضرة منه أو يثير مناقشة معه . وكثيراً ما أخذه امرسون الى « صخور الشاطئ » يقطعان الطريق في حديث طويل . ولقد أعجب التلميذ بمعلمه وأحبه واستشهد بكثير من عباراته وكان أحبها اليه



قول امرسون ( أن غرفة العقل قد غطيت جدرانها وحوائطها بكتابة غير مستبينة ولا واضحة .  
فاذا شئت ان تجعلها واضحة للقراءة فاستعن بلهب شمعة )

قلنا أن لويل كان ذكياً . ولكن هذا الذكاء الحارق لم يقعد به عن العمل والنشاط . فكان  
دعوباً كالنحلة — إلا في ساعات كسله الشعري — صابراً على الجهد المتصل والعمل المستمر وكان  
فيه ميل إلى القديم . ولم يكن ميلاً إلى الجمود أو الرجعية . وإنما هو ميل إلى الاعتزاز بالماضي  
والاعتداد بالتراث . . . فطراز بيته قديم . ومقاعده عتيقة الطراز وهو يحن دائماً إلى القديم  
من وده . والأول من صداقته ويؤثره على الطريف

ولكن لويل كان متناقضاً في ظواهره . وقد حير تناقضه هذا كل من اتصل به فهو حار  
القلب تارةً وبارده تارةً أخرى . وهو صوفي في بعض أشعاره ولذائذي في بعضها ، وهو يعطيك  
الحلاوة من طرف لسانه إذا لقيته وإذا غبت منك كما يروغ الثعلب . . . كان غريباً في  
مناقشاته ومحاوراته . فهو حريص دائماً على أن يكسب الموقعة ولو كان خاسراً . حريص على  
أن يكون الظاهر في الجدل ولو لم يكنه . . . وقد يتخذ من حركات يديه ووجهه ما يعينه على  
ذلك . فاذا انتصر على خصمه ابتسم ابتسامة ماكرة ثم اعتذر عما بدا منه في أثناء الجدل بأنه  
صنعه لأول مرة في حياته . . . ! ولم يكن بين لويل ولونج فيلو الشاعر معرفة حتى سنة ١٨٤٦  
فقد قرأ كل منهما لصاحبه ولكنهما لم يتلاقيا . وفي ذلك العام جمعت الاثنين غرفة واحدة هي غرفة  
لويل المعهودة . وبالطبع دارت بينهما الأحاديث وطال الكلام ، وكانت حركة منع الرقيق موضوع  
الحديث . ولا تعجب اذا محس لويل لمنع هذه الرذيلة الانسانية . فالدم الديموقراطي يجري في  
شرايينه وأوردته . وزوجته الشابة « ماريا هوابت » شاعرة رقيقة الحس مرهفة الشعور حرة  
الفكر ، وهي فوق ذلك تلميذة ( مارجريت فولر ) إحدى حرائر أميركا وأنصار الحرية فيها  
هذا هو لويل الكاتب . أما لويل الشاعر فقد أجاد أنواع الشعر كلها من أغان وأهازيج  
إلى ملاحم . وله دواوين — لولا خشية التطويل — لنقلنا أسماءها هنا . ولكنها في مستطاع من  
يريد الحصول عليها . وكان شعره يمتاز باللون الزاهي . والنوq الموسيقي . والمهارة التكوينية أو  
ما نسميها نحن اجادة الرصف ، ولا يقل في شاعريته عن تنسون أو هود أو غيرها . ولكن  
شهرتهم غطت على شهرته ، ففاتوه في ميدان إلهة الشعر بشوط بعيد . . . ولعل مما طاح بشهرته  
في الشعر انه كان مقلداً متبعاً . ولم يكن أصيلاً مبتدعاً . حتى لقد سماه بعضهم شاعر الظلال .  
فهو في أغلب أشعاره ظل لمن قرأ لهم

ولا تنس الشهرة التي نالها « لونج فيلو » معاصر « لويل » فقد كانت عاملاً من عوامل  
اخفاء كل من ظهر من الشعراء في عصره . وفي هذا يقول الشاعر العربي  
« في طلعة الشمس من ذا يبصر القمر ؟ »



# سلسلة التطورات

والمواد اللازمة للحياة<sup>(١)</sup>

لنقولا الحداد

## التطور - سلسلة في الوجود

التطور سنة طبيعية للكون كله . ونعني بالتطور تغير صور الوجود أو تحول المادة من حال الى حال بعمل القوة المسببة حركتها . فهو سجية الوجود الملازمة له . ففيما كانت ذرات المادة (كبريتات وبروتونات) تتجمع والقوة تنفست منها اشعاعاً تألفت ذرات العناصر على أنواعها بقوة التجاذب الذي نسميه ، وهو في ذلك الدور، تجاذباً كهربياً . فكان تألفها أول صورة من صور التطور . وتلاه تألف الذرة في جزيئات بقوة الألفة الكيميائية ( على نحو ما شرحته في مقالتي في جزء مقتطف يونيو ١٩٤٠ ) فكان تألفها صورة ثانية للتطور . وتعددت أنواعها فكانت أكثر كثيراً من أنواع العناصر . ثم عقبه انتظام الجزيئات بقوة التجاذب الكيميائي في بلورات فكانت البلورات العديدة الأنواع والأشكال صورة ثالثة للتطور . ثم عقبه تعاقد البلورات في خلايا بقوة العامل الحيوي وهو كيفية من كيفيات التجاذب أيضاً على نحو ما شرحت في محرر المقتطف في فصل «الفيروس» في كتابه « آفاق العلم الحديث » فكانت الحياة صورة رابعة من صور التطور . وامتازت الحياة بمخاض التوالد والنمو والموت في سلاسل متعاقبة الحلقات اذ تنشأ الحلقة الواحدة ثم تنمو ثم تتدثر بعد ان تلد حلقات اخرى وتبقى السلسلة مستمرة . وامتازت الخلية الحيوية عن التبلور بأن النمو فيها يحدث باندغام الجزيئات من داخلها . وأما في البلورات فيحدث باضافة الجزيئات متوازنة حول مركز البلورة . وانشطرت الحياة الى شطرين : المملكة النباتية طورها الأول . والمملكة الحيوانية طورها الثاني . وكلتا المملكتين تنوعت أنواعاً لا تحصى . وامتازت المملكة الحيوانية على المملكة النباتية بالحس والحركة الذاتية

(١) كتب هذا الفصل على أثر مطالعة مقال « مستقبل الانسان على الارض » المنشور في صدر مقتطف يونيو سنة ١٩٤٠



ثم انبثق من هذه المملكة الانسان ممتازاً على الحيوان بالعقل المنطقي المفكر المتذكر المعلن المستنتج ثم المتخيل والمتفلسف . فكان نوعاً آخر مستقلاً عن سائر الأنواع الحيوانية بخواصه ومزاياه . فهو اذن مملكة انسانية قائمة بذاتها غير محصورة في المملكة الحيوانية بل هي منفردة عنها . واذن أيضاً هو طور سادس غير طور الحيوانية الذي هو خامس التطورات

### هل للتطور نهاية ؟

ليس عندنا ما يقنعنا بأن للتطور الحيوي حداً ما دامت صلاحية الأرض للحياة في أوائل عمرها . فالتطورات التي توالى على الأرض لم تستنفد من عمرها الا اليسير منه ، لأن العلم الطبيعي يقنعنا بأن سطح الأرض كما نراه الآن كان على هذا النمط ملايين السنين ، وسيدقى عليه اضعاف تلك الملايين بتغير قليل فيه لا يصد التطورات في مجاريها . فاذا كان قد مر على نشوء الحياة ٥٠٠ مليون سنة ، وعلى نشوء الانسان نصف مليون سنة وعلى تحضره ٥٠ الف سنة فإمام تطور الحياة الانسانية مليون مليون سنة على الأقل تبقى فيها طبيعة الأرض وحرارتها كما هي الآن تقريباً

واذا كان التطور سنة الوجود وليس له حد في تخيلنا فلا بد أن تستجد في الدهور الطوال القادمة مئات أو ألوف من التطورات . ولا سيما لأن سنة التطور تجري متسارعة على قاعدة السلسلة الهندسية أي انها كلما تقدمت أسرع . فالفترات بين طور وطور تكون أقصر منها عما كانت فيما قبلها . فاذا يكون تطور المملكة الانسانية في المستقبل اذن ؟ وكيف تطور بطراً عليها ؟ وكيف تنكيف هذه التطورات ؟ — هذه هي الأسئلة التي تلوح بالبال عن مستقبل الانسان امتاز الانسان في مملكته الانسانية الجديدة المنبثقة من المملكة الحيوانية بأن « مصيره في يده » أكثر مما هو في يد العوامل الطبيعية . أي أنه قليل الخضوع لحكم البيئة الطبيعية أو الإقليمية أو هي ضعيفة التأثير فيه . يتحكم في العوامل الطبيعية أكثر مما هي تتحكم فيه . يكيفها على هواه أكثر مما هي تضطره ان يلائمها . فلكي يسلك البحار لا يضطر أن ينشئ في جسده زعانف بل يصطنع لنفسه مركباً ذا مجاذيف تقوم مقام الزعانف وغواصة مموّنة بالأكسجين والأدوات التي تغنيه عن الحياشيم . ولكي يطير لا يضطر أن يتجنج بجناحين جسديين بل يصطنع طائرة مجهزة بطيرها . ولكي يسرع في الانتقال لا يضطر أن يجري بسرعة الجواد بل يصطنع مركبة بخارية أو كهربائية تسرعها أضعاف سرعة الجواد . ولكي يحس عن مسافة بعيدة احساس الحشرات والهوام الطائرة يستخدم سرعة الامواج الكهرطيسية فهو قد فاق جميع أجناس المملكة الحيوانية وأنواعها في امتلاك أعنة العوامل المبدئية المختلفة



في البحر والهـ والجو ، وأعنة السرعة والانتقال في استمداد حاجاته ورغائمه من نواحي الطبيعة من غير أن يضطر أن يغير عضواً من أعضائه أو وظيفة من وظائفها أو شكلاً من أشكال بنيته الجسدية . ولا هو مضطر أن يـكيف جسده مطاوعة للعوامل الإقليمية ولا الطقسية لأنه يستطيع أن يجعل طقس الصحراء الذي في المنطقة الاستوائية وطقس الجليد الذي في المنطقة المتجمدة كطقس المنطقة المعتدلة . ويستطيع أن يجعل طريقه في الجبال والوعور سهلاً لذلك سبقي بنيته الجسدية والفسولوجية كما هي دهوراً طوالاً ، أو أنه لا يطرأ عليها من التغير شيء يستحق أن يعتبر تغيراً فسيولوجياً للملاءمة البيئية

### المملكة العقلية

إذاً ، ما الذي تطوّر في الإنسان حتى جعله يتحكم في البيئة كما يشاء ؟  
الجواب : أن تطوّر الإنسان أصبح تطوراً عقلياً لا جسدياً . فهو بعقله قبض على أعنة نواميس الطبيعة وجعل يستخدمها كأنها أعضاء من أعضائه . فاذا استطاع أن يسبق الجواد في سرعة الجري وأن يفوق القافلة في النقل فبأنه جعل قوة البخار والكهرباء من أعضائه بعقله الذي أغناه عن تطور جسده للملاءمة البيئية ، ملك غنان النواميس الطبيعية وجعل البيئة تتكيف بحسب رغبته

لذلك هو كنوع من أنواع الحيوان لم يبق مختصاً بأقليم من أقاليم الأرض دون آخر ، بل أصبح سطح الكرة الأرضية كله أقليماً واحداً له مهما تباين العوامل في انحائها . فانتشر الإنسان في جميع أنحاء الأرض على الرغم من اختلاف أقاليمها وسيطر عليها جميعاً ، واستطاع أن يقرض من إمامه معظم أنواع الحيوانات التي تنازعه البقاء . ولا يزال يكافح سائر الأحياء من وحوش وضوار وحشرات وهوام وجراثيم إلى أن يقرضها جميعاً ويبقى أخيراً وحده مستقبلياً مع الحيوانات الداجنة التي ينتفع منها والنباتات التي يستغلها . وهكذا ستكون المملكة الانسانية سيدة الأرض دهوراً طويلاً بقوة العقل

فالتطور الذي انبثق من المملكة الانسانية هو تطور عقلي . ولذلك يمكننا أن نحسب هذا الدور من التطور « مملكة عقلية » وهي التطور السابع

ولقد قامت إلى جنب هذه المملكة مملكة أخرى متفرعة منها أو معها من المملكة الانسانية . هي « المملكة الاجتماعية » كما قامت المملكة الحيوانية إلى جنب المملكة النباتية : وكلتاها متفرعة من الحياة . وفي هذه « المملكة الاجتماعية » تتجلى سنة التطور السابع كما عرفناها في بدء هذا المقال ، وهي : « تجمّع المادة وتقلت القوة منها » . فتجتمع الافراد في جماعة والجماعات



في مجتمع إنما هو ائتلاف يشبه ائتلاف الذرات في جزيئات وائتلاف الجزيئات في خلايا، وائتلاف الخلايا في أجسام. وبهذا الائتلاف تستتب جماعات المتآلفات وتصدر منها القوى في غصون تآلفها، كما تصدر الحرارة في اثناء ائتلاف الاوكسجين مع الكربون في انشاء الحامض الكربوني الى غير ذلك من الائتلافات الكيميائية التي يعرفها الكيميائي جيداً. فالطاقة التي في الجماعة لها أعظم من طاقة الأفراد متفرقة. وهذا هو أصح تفسير للقول السائر «الاتحاد قوة» حاصل القول ان المملكتين العقلية والاجتماعية انبثقتا من المملكة الانسانية بتطورين متآخيين. فهل يقف تطور الانسان عند هذا الحد؟

### النظر - العقلي

اذا كان تطور الانسان الجسدي قد وقف عند حد فلا ن عقله تسلم من جسده عملية التطور. أصبح تطوره عقلياً لا جسدياً. العقل الآن يتطور. وقد بدأ تطوره منذ شرع الانسان يستخدم سنن الطبيعة لمنفعته — منذ شرع يستخدم المياه المنحدرة لادارة الرحى. ومنذ اخترع العجلة لكي يخفف الحمل عن عاتقه. ومنذ اخترع الوثاق لشد العجلة الى كنف الحصان الخ ولو بقيت الى الآن فضلة من الانسان القديم الذي اخترع هذه المخترعات ووازننا بين عقله وعقل انسان اليوم كاشف قوة البخار والكهرباء ومخترع الحيل الميكانيكية العجيبة لاستخدام هاتين القوتين لأدركنا في الحال كيف تطور عقل الانسان منذ صار يدعى انساناً الى اليوم. وقد نلاحظ شيئاً من هذا اذا قابلنا عقل الانسان الهمجي في قلب افريقيا مثلاً بعقل الانسان الراقي فنرى البون الشاسع بين العقليين. ومهما نحاول تعليم الهمجي وثقيفه فلا أظن أنه يستطيع أن يفهم هندسة أفليدس وناموس الجاذبية ونظرية الكهرب الخ

فالعقل إذن متطور. فهل لا يزال يتطور؟ وكيف يكون إجماع تطوره في المستقبل؟

هذا ما يتعذر التسكّن فيه أو يكاد يستحيل التنبؤ بشكله. وانما يمكن القول إن ما يصعب الآن على الانسان تفهمه من النظريات قد يصبح سهلاً على إنسان المستقبل. مثلاً قد يسهل على تلميذ المستقبل أن يفهم نظريات أينشتاين ولايك وغيرهما كما صار يسهل على تلميذ اليوم أن يفهم سرياً أن الارض تدور حول الشمس في حين أنه يرى بعينه العكس وفي حين أن الهمجي لا يستطيع أن يفهم هذا ويتصوره. وسيستعجلي عقل انسان المستقبل، غواض العلم والفلسفة ويستغلها كما يستعجلي إنسان اليوم حقائق الجاذبية والحرارة والنور. وأما ما يكشفه العقل من أسرار الكون الأخرى وكيف يستغلها فهو ما يستحيل التكهّن به وتصوره الآن. وإذا لم يكن بد من استمرار التطور في الدهور القادمة المتطاولة بمثل المدة التي عهدناها فماذا يكون التطور الذي يلي هذا التطور البني الذي نحر فيه الآن؟ فذا دعونا هذا الدور من التطور «المملكة العقلية» المنبثقة من



المملكة الانسانية فإذا يمكن أن تكون المملكة المستقبلية ؟ وماذا تسمى يا ترى ؟  
لابد أن تتعاقب التطورات في الدهور المقبلة التي تطوي ملايين السنين . ولا بد أن تتوالد فيها ممالك تطويرية كالمملكات النباتية والحيوانية والانسانية والعقلية والاجتماعية . فإذا تكون ؟ وكيف تكون ؟

هل يستطيع العقل الانساني الآن أن يتخيل كيف يكون حفدته وأطفال حفدته ؟  
وإذا كان الانسان وهو الآن في طالع مملكته العقلية قد استعبد الجاذبية والكهرباء واعتقل قواها وأتى العجب العجيب في إستخدامها من راديو وتليفون وتلغراف وسينما و و الخ مما يقف عنده العقل نفسه الذي اصطنعه حاراً دهشاً فإذا يفعل هذا العقل القدير في الدهور القادمة المتطاولة حتى في العهد القريب

طوبى للذين يولدون في ذلك المستقبل اللهم إلا إذا كان اله الشر يسيطر على تلك المملكات القادمة كما يسيطر الآن فالويل لهم

ولكن هل يمكن أن يعيش العقل دهوراً طويلاً تحت راية الشر ؟ لا بل ينقرض الانسان وعقله بفعل الشر السكمن فيه فيكون قد حمل أسباب فناءه في أذبال إرتقائه . ثم ماذا ؟  
هل نستنفذ المواد اللازمة للحياة

### الطاقة اُثرية اُبرية لا تنفد

بقيت لي فكرة في مستقبل المواد اللازمة للحياة  
اللازم لبقاء الحياة : أولاً الغذاء . وثانياً الوسائل لدفع عوادي الزمان والمكان عن الحياة من برد وحر وما اليهما . وثالثاً أسباب التمتع بالذات . وللحصول على هذه جميعاً لا بد من استخدام الطاقة ( القوة ) فضلاً عن المادة

قد يرى بعض الناس أن المادة من غذاء وحطام متوفرة للانسان في الأرض . وإنما هو في أشد حاجة الى الطاقة التي يستخدمها في لوازمه الرئيسية الثلاث التي أوردناها آنفاً . ويرون أن قوة عضل الانسان غير كافية لاستخراج حاجاته المادية من الأرض لأنه صار كثير المطالب والרגائب وواسع المطامع . على ان عقله هداه الى اعتقال قوات الطبيعة واستخدامها بالنيابة عن قواء العضلية . فكانت ألوف أضعاف قوته البدنية . واستطاع بواسطتها ان يستخرج من خيرات الأرض اللازمة لרגائبه وشهواته أضعاف أضعاف ما كان يستخرجه بقوة ذراعه بل ان ذراعه وساقه استراحتا على عاتق قوات الطبيعة التي نحن بصدددها . وقد انتقل كل عمله من عاتق جسده الى كاهل عقله . أصبح العمل من وظيفة عقله لا وظيفة جسده



والى العصر الأخير كان الانسان يعتمد على ما ادخرته الطبيعة له في بطن الأرض من الطاقة وهي الفحم الحجري والبتروول وأمن في استخراجهما وأسرف في استهلاكهما حتى خشي أن يستنفدهما في وقت محدود طال أو قصر، الى أن يضطر أخيراً الى العودة لقواء العضلية وهي لا تقوم بجزء صغير من مطالبه ورغائبه وحاجيات شهواته فيعيش تأساً لأنه يعيش حينئذٍ متقهراً. وقد ينحط الى همجيته القديمة

ولكن أين يذهب الفحم والبتروول اللذان يحرقهما لتوليد القوة وتحريك القطار والسفينة والطيارة والمعمل والمصنع والتدفئة الخ؟ أين تذهب تلك المواد المحترقة؟ تتحول الى غازات وبخار وبسائط مركبات كيميائية تكون أغذية لنباتات البر والبحر. وهذه تكون بدورها أغذية لحوانات البر والبحر. وكلا النوعين من نبات وحيوان يكون بعضهما غذاء للانسان والبعض الآخر الأكبر وقوداً كالفحم والبتروول لتوليد الطاقة التي تحت سيطرة الانسان نفسه

فالطاقة والمادة لا تفيان. وانما تتحولان تحت سلطة الانسان الى طاقة ومادة في دورة كيميائية معلومة. والانسان نفسه حلقة في هذه الدورة. فهو يغذى بالمادة ويتحول الى عناصر المادة التي يتكون منه غذاؤه. وكذلك قواء التي عملها في حياته تتحول الى القوى التي استمدتها من الطبيعة في حياته

وعلى م هذا الهم ومصدر الطاقة في الطبيعة اعظم جداً مما يتخيله الانسان عظمياً في الفحم والبتروول. فهو في حرارة الشمس التي لا تنضب في بلايين السنين وفي قوة الجاذبية التي هي سحابة المادة او خاصتها. فدامت حرارة الشمس تصعد ماء البحار بخاراً ثم تستمطرها الجاذبية أمطاراً فتجريها سيولاً وأنهاراً فالطاقة التي تتولد من هذين العاملين تحت سلطة الانسان لانهاية لها، وهي أعظم جداً من الطاقة المخزونة في الفحم والبتروول. فليكن الفحم و لينضب البتروول. فالسيول المنحدرة من أعالي الجبال والآكام او الطاقة مستمدة مباشرة من الشمس<sup>(١)</sup> تغني عنهما اذن، لا خوف من استنفاد الانسان الطاقة مهما يسرف في استعمالها

وانما قد يلوح في البال ان الطاقة التي لا تنفد لا تسد وحدها حاجته من الغذاء والكساء والمأوى والترف اذا تهادى في التناسل اذ ليس لقوة التناسل من حد. وانما للمواد الغذائية وتوافرها من حاجات الحياة حدود. فقد يكثر الناس الى حد ان لا تكفيهم حاصلات الأرض فالى أي عدد يمكن ان يزداد السكان على الأرض بحيث لا يصبح الرزق شحيحاً لهم. وهذا ما يلوح في بال الكثيرين



### تحويل جبل المقطم الى بشر

الجواب ( ولو نظرياً الآن وعملياً في المستقبل ) : لا يكاد يكون ثمة حدٌ لعدد السكان إلا الحد الذي تتحول فيه عناصر المركبات العضوية كلها الى بشر، أي ان الحد النهائي هو ما على سطح الارض من كربون وايدروجين وأوكسجين ونيوتروجين تتركب منها بالنسب اللازمة اعضاء الأحياء نباتاً وحيواناً وانساناً

فالكربون وهو أهم عناصر العضويات موجود في تراب الارض وصخورها ( كربونات الجير ) . والعلم يقدر الانسان على حل هذه الأتربة والصخور الى كربون وأوكسجين وجير . وما أغنى ماء البحر بالايديروجين والأوكسجين ! وحله اليهما صار في طوق الانسان . والنبات نفسه يستطيع حلها والاعتداء بهما . والجو غني بالنيوتروجين، وقد صار في وسع الانسان ان يصنع منه حامضاً نيتروجينياً ثم يركب منه النترات اللازمة لتغذية النبات الذي يقتذي بها الحيوان وبهما كليهما الانسان

فليس على الانسان بمستصعب ان يحول كربونات الجير في قشرة الأرض ومياه البحر والهواء الى نبات وحيوان وأخيراً الى انسان . وفي وسع طبيعة الأرض ان تنشيء ملايين ملايين البشر بحيث تصبح قشرة الأرض كمثل بشر . في وسعه ان يحول جبل المقطم كله الى بشر

فلا يخف الناس أن يستنفدوا خير الأرض في حين من الأحيان بتكاثرهم وان يموتوا أخيراً من الطوى مهما يتناسلوا ويتكاثروا ، لأن المعرفة التي توصل اليها العقل تقدره على استخراج الخيرات من الارض بلا حد

ولكن ليس ضيق الأرض بأهلها او فضوب خيراتها يتكد حياة الناس وينقص عيشهم . وإنما الذي ينقص عيشهم هو تنازع جماعاتهم وأفرادهم على هذا الرزق الوافر من غير ضرورة . فإذا استطاع البشر ان يعيشوا متسايمين متآخرين استطاعوا ان يتناسلوا ويتكاثروا ملايين الملايين من غير ان تضيق الارض بهم

أن الانسان الذي بلغ في التطور مرحلة « المملكة العقلية » لا يزال طفلاً أو جنيناً في « المملكة الأدبية » ( الأخلاقية ) . هذا هو الطور الانساني القادم . فإذا تم هذا التطور للانسان استطاع أن يعيش متكاثراً وأن يعيش مع تكاثره سعيداً من غير أن يخاف فقراً أو طوى . ومن غير أن يضطر أن يقول قول المستعمرين « نحن كثيرون نحتاج إلى أرض تسعنا »

الأرض واسعة ولكن جشع الانسان الغبي أوسع . فنسأل الله هداية الانسان الى الصلاح والوفاء والى إيماده على المن والسلوى الذين ينزلها عليه الرحمان الغني بالخيرات



# انسان المستقبل



صفاته البيولوجية

كما يراها أساطين العلم الحديث

المرجّح ان انسان المستقبل سوف يكون أمدّ قامةً ، وأذكى عقلاً ، وأشدّ مناعةً ضدّ الأمراض، من انسان اليوم . والمحتمل ان يضيف بضع سنواتٍ الى مدى حياته بل قد يتمكن من ان يتحكم في مواليده من بنين وبنات

\*\*\*

هذه العبارات البسيطة يلخص بحث طائفة من أشهر علماء الأحياء في هذا العصر ، الذين أثبتوا بتجارب تنطوي على براعة وابداع ، أن الشكل واللون والحجم والبناء والطبائع والمزايا الشقية ( Sex ) في بعض الحيوانات يمكن تغييرها ، بل يمكن ان يقلب اتجاهها قلباً تاماً . وقد تحكموا في أفعال الحياة الأساسية في عالم الحيوان ، حتى أصبحوا قادرين من ناحية سيطرتهم على أفعال الوراثة ومزايا البيئة، ان يحولوا السمندل Salamander من حيوان مائي الى حيوان بري ، وان يضاعفوا جرم الفئران والجردان والسمادل ، وان ينشثوا ضرباً من ذباب الفاكهة لا أجنحة له ، وصنفوا من السمك لا عيون له ، ويمكسوا الشق في الطيور والصفادع — أي أن يحولوا الذكر الى أنثى والأنثى الى ذكر

فعالم الأحياء بكواشفه الدقيقة ، ومجاهره ، وجداوله ، يملك تحويل المستقبل . ان تجاربه قد أسفرت عن حقائق حيوية غريبة عن أفعال الحياة الأساسية ، فردّها القول بالعداء والنزاع بين الوراثة والبيئة ، وثبت ان الكائن الحي نتيجة التفاعل بين الاثنين

يعترف بعض البيولوجيين بان طبيعة الانسان ومصيره يتغيران باحداث تحويل في عوامل الوراثة ، او انقلاب كبير في أحوال البيئة . ولكن الأمل الكبير في إمكان السيطرة على خصائص الانسان ، من الناحية البيولوجية ، يقوم بالسيطرة على أحوال معينة في خلال تكوينه ونموه . فالمشكلة التي أمامهم ، هي الكشف عن العوامل والوسائل التي تمكنهم من تطبيق ما عرفوه عن الحيوان ، على حياة الانسان



فقد ثبت لهم ان المادة الحية شديدة المرونة . وأنها تغنو للعوامل التي توجهها اليها اذا عرفنا هذه العوامل وخصائصها معرفة دقيقة . وعليه فالتقدم البشري لن يكون بعد الحصول على هذه المعرفة ، عرضة لتصاريف الأقدار ، بل ان انسان المستقبل ، سوف يكون أشبه شيء بمثال بارع ، ينشئ الحياة على المثال الذي يراه بالتحكم في أغراض الحياة ومصيرها

\*\*\*

في هذا العمل الباهر لا بد ان يكون للمومونات ( الأنوار : مفرزات الغدد الصم ) مقام وأي مقام . فهي تسيطر على جرم الجسم ، هل نكون أسوياء أو أقزاماً أو مرده . بل هي تسيطر على طبائنا ، هل نكون شديدي النشاط او شديدي السكسل والتراخي ، وهل تمثل أجسامنا الطعام الذي نأكله أو لا تمثله ، هل نكون من الزعماء في جماعتنا او من الأتباع ، وهل تتصف عقولنا بصفات الرجل الاجتماعي الأمثل او نكون من المجرمين

وقد استعمل بعض الأطباء خلاصة الغدة الدرقية في حقن أناس ولدوا ونشأوا صفار الجفنة فصار القامة فكان من أثر هذه الخلاصة التي حقنوا بها ان أصبحوا مديدي القامة

وقد صرّح الدكتور ردل Riddle رئيس « جمعية درس المفرزات الداخلية » في الولايات المتحدة الاميركية ان هرمون الغدة النخامية قد يستفرد مثل هرمون الغدة الدرقية قريباً . او قد تنقضي سنوات قبل استفراده . ولكنه اذا استفرد وعرفنا كل ما يجب ان نعرفه عنه استطعنا استعماله في خلال أدوار الطفولة في المواليد الذين ثبت ان غددهم النخامية صامرة وينتظر ان ينشأوا أقزاماً فيحول الحقن بخلاصتها دون ذلك

ثم ان التقدم في درس المناعة ، ووسائلها ، ينبئ بحلول يوم ، يتمكن فيه الأطباء من تحصين الطفل ضد أمراض الطفولة ، وتحرير الكبار من قيود الأدوية التي تصيب الجسم والعقول فاذا تمّ للانسان ذلك تقدم الى غزو الطبيعة بقدرة ثابتة وعزيمة لا تعرف التردد والخوف ولما سئل الدكتور ردل عن مستقبل الذكاء الانساني ، قال من المتعذر ان نتنبأ بما قد يبلغه الذكاء الانساني من التقدم ، بالنظر في الحقائق المسلم بها الآن . ولكن عقل الانسان مرتبط ببناء جسمه ، ويستحيل علينا ان ننظر الى العقل والجسم ، كأشياء وحدتان منفصلتان . فاذا تمكن الانسان من ان يسيطر على نموه الجسماني ، فلا يعقل ان يصرف العناية عن محاولة درس الأحوال والبواعث التي تتيح له التأثير في قواه العقلية . والراجح ان يوجه الباحثون في المستقبل عنايتهم الى درس العوامل التي تجعل من الانسان الواحد ، سياسياً خطيراً ، او مالئاً كبيراً ، او طاملاً نابغاً ، او طاملاً بسيطاً ، والمحتمل ان يتمكنوا بعد ذلك من السيطرة بعض السيطرة عليها



هذه الأقوال العجيبة مبنية على احتمالات علمية أسفر عنها التقدم العظيم الذي تم في علوم الأحياء في خلال نصف القرن الماضي . وتحقيقتها متوقف الى مدى ما على السيطرة التي يستطيع الانسان ان يمارسها في البيئة الطبيعية والاجتماعية ، وعلى استعمال الغدد الصم ومفرزاتها . واطبق القواعد التي كشفها البحث في الوراثة وارتقاء العلوم الطبيعية على اختلافها

\*\*\*

ان كروموسومات (صبغيات) الخلية أشبه بشيء بعصيات ، او حبيبات دقيقة منظومة في عقود . والكروموسومات مؤلفة من عوامل الوراثة ، والى هذه العوامل ترتد الصفات الانسانية الأساسية . هل الشخص ذكر او انثى . هل هو أزرق العينين او أشهلها . هل في تركيب جهازه العصبي حاسة الموسيقى المرهفة . ان الفرق بين يتوقن العظيم ، والرجل الأبله ، ليس الا فرقا في انتظام عوامل الوراثة في الكروموسومات . فاذا تغير انتظام هذه العوامل في الخلايا ، ظهر في النسل تحوّل في الصفات الوراثية ، حتى ولو لم تتغير احوال البيئة التي يعيش فيها ذلك السكان . وقد يكون التحوّل غير منتظر على الاطلاق ، في شق السكان ( ذكر أو أنثى ) او لون شعره ، او لون عينيّه ، او مقدرة العقلية

خذ مثلاً على ذلك ذبابة الفاكهة الاميركية المعروفة بالدروسوفيلا . ان لون العين الآخر في هذه الذبابة يرجع في الغالب الى انتظام خمسين زوجاً من عوامل الوراثة ، انتظاماً معيناً . فاذا اختلفت عاملاً واحداً من هذه العوامل المائة ، كانت النتيجة ان عين الخلف لا تكون حمراء بل قد تكون بلا لون على الاطلاق . وكذلك ترى ان عاملاً وراثياً واحداً ، يحوّل صفة معينة ، اذا كان ناقصاً او اذا كان غير سوي . ولكن امامك خمسون زوجاً من العوامل ، تجمع كلها لاحداث صفة لا خطر خاص لها في حياة الذبابة ، هو لون العينين . واذا فالتطرق امامك متعددة لاحداث تغيير في لون عيونها

وكذلك في النسل الانساني . فعوامل الوراثة عديدة لا تحصى ، واحتمالات انتظامها في أشكال متباينة عديدة كذلك . واذا فالنسل يختلف عن الأبوين ، ويختلف افرادهم عن بعض . وهذا يعمل لنا نجوب ، عبقرى عظيم ، كشكسبير ، او امكن ، او يتوقن ، من والدين لم يمتازوا بشيء من دلائل العبقرية . وهو يعمل لك كذلك ، ان اولاد نبوليون وجوته لم يكونوا عابرة مثل والدهما

\*\*\*

فاذا كنا نستطيع ان نسيطر على تفاعل هذه العوامل الوراثية في انتظامها ، فننظمها نحن كما نشاء ولا نترك انتظامها للمصادفة العمياء ، فان الدلائل تدل على اننا نستطيع ان نخلق



الانسان الأمثل ، بل نستطيع ان نعين الناحية التي يتفوق فيها هذا الانسان ، أيا كان عالماً ، أم رياضياً ، أم مهندساً ، أم زعيماً سياسياً ، أم قطباً من أقطاب المال والأعمال . فما هو احتمال بلوغ الانسان هذا المدى من السيطرة على عوامل الوراثة ؟ يقول الاستاذ هالدين J. B. S. Haldane ، ان أمام علماء الحياة طريقين يسلكونهما ، لتغيير عامل واحد من عوامل الوراثة ، في أحد الكروموسومات ، من دون ان يؤثر في العوامل الوراثة الأخرى . أما الطريقة الأولى فابتداع او كشف مادة كيميائية تؤثر في عامل واحد دون العوامل الأخرى . وأما الطريقة الثانية ، فاستنباط وسيلة يستطيع بها الباحث ان يوجه الأشعة التي نوق البنفسجي الى جزء صغير جداً من الكروموسوم من دون ان يتلف الخلية نفسها . ويقول الدكتور ردل أننا لا نعلم الآن كيف يجب ان ننظم عوامل الوراثة البشرية ، حتى نخرج من انتظامها الانسان الأمثل . ولكن أماننا طريق علينا ان نسلكه وهو ان ندرس أثر تحويل عناصر البيئة في الكائنات الحية نفسها . ولكي نحدث تغييراً في الكائنات الحية ، يجب ان نحدث تغييراً في أحوال خاصة في مراتب النمو الأولى . فلننظر الآن في ما فعله علماء الحياة في إحداث هذا التغيير في الأحوال الخاصة ، وما أثره في السيطرة على أجرام الكائنات ، وشقها ، وغيرها من وظائف أعضائها

\*\*\*

فقد بين بعض علماء المانيا ان بيض الضفادع وأجنحتها ، اذا عرّضت لحرارة أعلى من الحرارة العادية التي تتعرض لها ، تحولت الإناث ذكوراً . وأثبت الدكتور كتي بونس أستاذة علم الحيوان التجريبي في جامعة جنيف أنها تمكنت من تحويل عدد غير يسير من ذكور الضفادع الى أناث ، ثم زوّجت هذه الإناث بذكور سووية ، فحملت وولدت . والظاهر من محاضرة لها أنها أزال أولاً الغدد الجنسية من الذكور البالغين فتبع ذلك نمو عضو صغير ضامر في الضفدع ، وبعد فحصه ، ثبت انه يحتوي على بيوض جاهزة للتلقيح . ولم تفرد الذكور من هذه الإناث بل أقبلت عليها . ومما يحير العقل ان نسل الإناث المحولة عن ذكور ، كان كله ذكوراً . ثم ان الدكتور دُوم Domn الأستاذ بجامعة شيكاغو تمكن من تحويل بعض ذكور الطيور أنثى ، وبعض الإناث ذكوراً ، فانه أزال المبيض الأيسر من ١٧٥ من إناث العصافير وهو البيض الوحيد فيها ، لأن المبيض الأيمن يضم ويهزل . فلما أزيل المبيض الأيسر اشتد المبيض الأيمن ولكنه تحول خصية بدلاً من ان يبقى مبيضاً . اي ان هذا المبيض الذي اصله غدة تناسلية انشوية ، تحول بعد ازالة المبيض الأيسر الى غدة جنسية ذكرية . وقد افترزت هذه الغدد نطفاً للتلاقح . ومن الأمور المشهورة ان انقلاب جنس الحيوان بعد فقد غدته يقع في



الطبيعة من دون وساطة الانسان. فالحيوان المعروف بالسمندل الذكر اذا جاع أشهراً متوالية، ضمرت غدته الجنسية. فاذا وجد طعاماً بعد ذلك عادت الى النمو ولكنها تنقلب غدة انثوية. والدجاج يقع له ما هو شبيه بذلك اذا أصيب بالتدرن ومن غرائب ما يذكر في هذا الصدد ان الصفات التناسلية في فتاة تحولت من صفات انثوية الى صفات ذكرية على أثر ظهور خراج جمل مفرزات غددها الصم أكثر مما هي عادة. وكان الدكتور آبل العلامة الأميركي وأحد أساتذة جامعة جونز هبكنز يعالجها فشهد بأن جميع صفاتها الجنسية الثانوية الجسمية والنفسية كانت صفات ذكور. وقد عادت الى أنوثتها على أثر عملية استئصال فيها الخراج وارتدت الغدد الى حالتها السوية

\*\*\*

من الحيوانات التي تجرب بها هذه التجارب حيوان السمندل وهو في موطنه الأصلي حيوان مائي يتنفس بخياشيم ويتصف في خلال أدوار حياته جميعها بصفات الحيوانات البحرية ولكنه اذا نقل الى موطن أخرى معينة، أو اذا قضي عليه في دور معين من نموه أن يعيش في الهواء او اذا غذي بقطعة من نسيج الغدة الدرقية، تحول الحيوان المائي الى حيوان بري. ثم اذا غذي بقطعة من الفص الخلفي في الغدة النخامية ضخمت جثته حتى ليصبح جرمها ضعف جرمها الأصلي اذ يقتصر في غذائه على طعامه المألوف. وقد وصل الباحثون الى النتيجة نفسها في الجرذان اذ حقنت بخلاصة الغدة النخامية

\*\*\*

ويستطيع الباحث العلمي ان يربي سمكة ذات عين واحدة مع انها في الطبيعة ذات عيني باضافة أحد المحدرات أو أحد أملاح المغنيزيوم الى الماء الذي يفقس فيه بيض السمك. بل يستطيع الانسان ان يتدخل في دور معين من أدوار حياة دودة من الديدان بتغيير أحوال البيئة يقرر أي طرف من طرفي الدودة يكون رأسها وأي طرف يكون ذنبها. ولا تقل عجائبهم في تغيير ألوان الحيوانات عما تقدم. فالدجاج الأبيض الريش يحول الى دجاج أسود الريش من المتعذر الآن تطبيق هذه الحقائق على النوع الانساني ولا سيما فيما يرتبط بالتناسل لأن تجربة التجارب التناسلية بالانسان أمر تعافه نفوسنا ولكن اذا تقدم البحث في الوسائل الأخرى القائمة على احداث تغيير في السكان الحي بتغيير أحوال بيئته في أدوار معينة من نموه وبوجه خاص فيما يتعلق بالغدد الصم فلا يبعد ان يصبح علماء الأحياء عاملاً من عوامل الطبيعة في انشاء الانسان على أعلى مثال يتصورونه



## المدرسة الالزامية

ونأثيرها وعمر قنرها بغيرها  
وتنظيم هذه العلاقة على أساس جديد

لعبد الله امين

المدرسة الالزامية مدرسة الطفل تستقبله إذا بلغ السنة السابعة من عمره ، وهو رطب العود ، غض الالهاب ، ناعم الأظفار ، فتتولى تربيته بما تملك من وسائل نافعة وضارة ، ولا زال تؤثر فيه بهذه وتلك حتى يجتاز طورها ، ويبلغ السنة الثانية عشرة من عمره فينتهي منها وقد طبعته بطابعها وصبغته بصبغتها وقد تته على مثالها ، جسماً ونفساً وعقلاً فيلازمه طابعها ما دام حياً وهي المرحلة الأولى والأخيرة ، لتربية الملايين من أبناء الشعب ، الذكور والاناث الذين يحصلون منها دون غيرها ، كل ما يحتاجون اليه في حياتهم ، من معارف وآداب وتدريب للاعضاء والحواس على الأعمال وايقاظ للمواهب والمسكات العقلية والنفسية السكامة فيهم وللمهارة ، وبمخرجون منها الى معترك الحياة ، وليس لهم الا ما غرسه فيهم ، فان كان خيراً جنوا خيراً وان كان شراً جنوا شراً

وهي مع قيام رياض الأطفال بجانبها ، لا تزال أعظم الطرق الى مراحل التعليم الأخرى لأن كثيراً من تلاميذها ينتقلون منها ، الى التعليم الابتدائي فالثانوي فالجامعي ، ويستأهلون بذلك لتولي السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية ، وللشؤون السياسية والاقتصادية والتعليمية وغيرها . والفضل الأول في تكوينهم لمدرسة الطفولة الالزامية

وهي المدرسة القومية للملاءمتها لأخلاق الأمة وعقائدها كل الملاءمة لأن التعليم فيها مصبوغ بصبغة دينية ، وهو بلغة البلاد ، ولأنها لا تخرج تلاميذها عما ألفوه في بيتهم حيث تكون ، الا بالقدر الذي تبيحه سنة الفشوء والارتقاء ، ولأن مدرستها طبعوا بهذا الطابع القومي ، في مدارس المعلمين الأولية ولم يتحولوا عما ألفوه في بيتهم ، الا بالقدر الذي لا بد منه للتقدم التدريجي

\*\*\*

فمدرسة هذا شأنها جديرة أن تكون ، أعظم المدارس تأثيراً في تكوين أخلاق الأمة



وعقائدها ، وفي إيقاظ مشاعرها ومواهبها ، وفي تكوين الرأي العام وتوحيده ، وأن تكون هي دون غيرها من المدارس أساس النهضة العلمية والفنية والأدبية والاقتصادية والسياسية والادارية في البلاد كلها . والألّ نجح منها إلاّ القراءة والكتابة فحسبها من هذا أن تكون باباً لمرحلة التعليم الأخرى ، للقادرين على مواصلة التعلم للنهاية ومفتاحاً لباب المعارف العامة ، ولتكوين الرأي العام وتوحيده ، لغير القادرين على مواصلة التعلم للنهاية

فاذا قيل إن عوامل التربية ثلاثة ، وهي المنزل والمجتمع والمدرسة ، كانت المدرسة الالزامية أحقّ من غيرها من المدارس ، بأن تعد هي بحق أحد هذه العوامل الثلاثة ، لمنزلتها السابق ذكرها وإذ كانت هذه العوامل ، تعمل في شيء واحد هو الطفل ، ولغرض واحد هو تكوينه جسمياً ونفساً وعقلاً ، تكويناً يؤهله لأن يكون قوة عاملة ، ذات أثر نافع في هذه الحياة ، فقد وجب أن تتشابه الحياة في ثلاثتها تشابهاً تاماً وخير الوسائل لذلك ، أن تكون قائمة على العلم والفن الصحيحين ، وعلى الأخلاق والعقائد والآداب السامية الموحّدة

غير أن الحيّاتين المنزلية والاجتماعية قائمتان في بلادنا المصرية ، على كثير من الاخطاء والسيئات ، فينشأ أطفالنا نشأة التكوّن الاولى ، من الولادة حتى تمام السنة السابعة ، وهي سنّ التعليم الالزامي في أحضان هذه الاخطاء والسيئات ، فتضمحل أجسامهم وتغلّ صحّتهم وتضعف نفوسهم وعقولهم ، وتموت فيهم خير المواهب والملكات النفسية والعقلية . فاذا دخلوا المدرسة الالزامية بعد ذلك ، كان عملهم فيهم هدماً للاخطاء والسيئات ، وبناء للحقائق والحسنات . واهدم هنا أصعب من البناء ومع هذا لا ينفك المنزل والمجتمع يهدمان بعض ما تبني المدرسة من طيبات ، فالأمل كله في تكوين الطفل معقود بالمدرسة الالزامية وحدها

لكننا إذا فحصنا عن المدرسة الالزامية ، ألفيناها فقيرة الى الإصلاح كل الفقر . فلا بدّ من إصلاحها هي لتستطيع أن تنهض بهذا العبء الفادح الملقى على عاتقها ، غير أن إصلاحها ليس من الأمور الهيئنة ، لأن النظام المدرسي عُنصر من عناصر الحضارة ، وحضارة كل أمة وليدة أخلاقها وعقائدها ، وكل ما كان وليد الأخلاق والعقائد ، كان تغييره مرهوناً بتغييرها ، وهي لا تتغير إلاّ ببطء شديد ، أو بعوامل شديدة التأثير كالأزمات الحربية والسياسية والاقتصادية والثورات الفكرية وغيرها

ولذلك نجدنا نشعر منذ سنين شعوراً صادقاً ، بأن مدارسنا المصرية أصبحت غير صالحة لحل مشكلات الحياة المصرية الجديدة ، ولمسايرة روح العصر الحاضر بعد أن زجت البلاد رغم أنّها في ميدان المدنية الحديثة ، واستعارت بسرعة البرق مظاهر هذه المدنية الكاذبة ، دون عناصرها ، نشعر هذا الشعور ونحاول إصلاح المدرسة المصرية ، ونسير بها في سبيل الإصلاح



سيراً سريعاً طويلاً مضيقاً ، غير أننا لا نتجاوز بسيرنا محيط دائرة ضيقة ، هي دائرة المدرسة القديمة القائمة على العلم وحده ، مدرسة أئمة العلم والأدب والفن أمثال ابن رشد وابن الهيثم والخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه ، والجاحظ والمعري ، وأفلاطون ودارون ونيوتن وشكسبير ، وغيرهم ممن قضوا أعمارهم نهراً ولياليها ، في دراسة العلم وتدوينه وتدريبه ثم لا تلبث أن نشعر بالاخفاق في الإصلاح ، لأنه قائم على غير أساس ، وكل بناء يقوم بلا أساس لا شك منهيار

ولكن ذلك الاخفاق في إصلاح المدرسة المصرية ، لا ينبغي له أن يصدنا عن محاولة إصلاح المدرسة الالزامية ، فيجب أن يكون هذا الإصلاح الشغل الشاغل للمصلحين لا يستكون عنه ولا يقنطون منه وإن أخفقوا فيه غير مرة ، فلا شيء أضمن للنجاح من تجارب الاخفاق وصدقاته ، ومن المثارة والجد والصبر وعدم اليأس . ولولا هذه الخلال لما ظفرت المدينة الحديثة بهذا التقدم المنقطع النظير ، وبما فيه من معجزات العلم والصناعة . ولعل الفورة الحربية والفكرية العالمية الحاضرة تكون خير باعث لنا على الإصلاح المدرسي الذي هو أساس كل إصلاح إصلاحاً يخلق من فوضانا نظاماً محكماً ثابتاً ومن ضعفنا قوة

\* \* \*

ولا يمكن أن يكون الإصلاح مثمراً بالغا بنا الغاية المرجوة منه إلا إذا وضعنا لهذه المدارس سياسة محكمة ثابتة وهذه السياسة المحكمة الثابتة لا يمكن أن توضع إلا إذا عيئت الأغراض الخاصة لهذه المدارس تمييزاً واضحاً وحددت حداً دقيقاً وإذا لم يكن في مقدور ضعيف مثلي أن يضع منفرداً أغراضاً لهذه المدارس فاني أستطيع أن أضع مثلاً لها كنت وضعته من قبل في كلمة لي

فالأغراض الخاصة : للمدارس الالزامية نحو

- ( ١ ) تدريب حواس الأحداث ومداركهم على ادراك الحقائق ادراكاً صحيحاً وتمييزاً وتقويتها ، وتدريب ألسنتهم على التعبير عما في نفوسهم تعبيراً صحيحاً .
  - ( ٢ ) تعليمهم القراءة والكتابة والحساب ، ومقداراً ملائماً من اللغة ومن الحقائق الأولية المحيطة بهم التي تلائم ألسنتهم وبيئتهم وميولهم وتقوم على تجاربهم الذاتية
  - ( ٣ ) تدريب أجسامهم وبخاصة أيديهم على الحركة والعمل وتمييزها وتقويتها
  - ( ٤ ) تأهيلهم لدخول معترك الحياة ، أو مدارس خاصة صناعية وزراعية ، والمدارس الثانوية
- هذا الى الأغراض العامة التي تشارك فيها المدرسة الالزامية غيرها من المدارس مثل : —
- (١) غرس العقيدة الدينية ، والأخلاق الكريمة ، والعادات والآداب القومية الحميدة



في نفوس التلاميذ (٢) تدريبهم على المعيشة المنزلية المنظمة ، وعلى الاندماج في الجماعة اندماجاً يعود عليهم وعلى الجماعة بالخير (٣) تنشئتهم على حب الوطن والمواطنين ، وبث الروح القومية وروح التعاون في نفوسهم (٤) تدريبهم على مشاركتهم مواطنهم في الشعور والرأي العام وغير ذلك من الأغراض

أما الوسائل أو السياسة المفضية الى هذه الأغراض فهي تتجلى في (١) وسائل اعداد المعلم (٢) مناهج الدراسة (٣) خطط الدراسة (٤) الحياة المدرسية (٥) نظم الامتحان ولأجل أن تحقق هذه السياسة الأغراض المدرسية السابقة ونحوها يجب أن يراعى فيها: — (١) ان تمثل الحياة المدرسية الحياة المنزلية أحسن تمثيل بأن تقوم على خير ما تقوم عليه هذه الحياة من الحب والاخلاص والوفاء والشفقة ، والامتزاج والتعاون التامين ومن التدريب على الآداب والعادات المنزلية الحميدة (٢) وان تمثل الحياة الاجتماعية كذلك بأن تقوم الحياة المدرسية على تعرف الأطفال الحقائق المحيطة بهم بمشاهداتهم ومساعدتهم وتجاربهم الذاتية ، لا على الكتب والكراسات وحدها ، وعلى تدريب أعضائهم على الأعمال الجسدية واليدوية تدريباً يكسبهم المهارة والخفة وعلى اللهو البريء الذي لا بد منه لحياة الانسان (٣) وان يكون المدرس وبعبارة أدق المربي ، مطبوعاً بالطابع الذي نريد ان نطبع به التلاميذ ، قديراً على معاشرتهم ومشاركتهم والامتزاج التام بهم (٤) وان تكون هذه السياسة حلقة من سلسلة التعليم كلها (٥) وان يكون الامتحان لأمثال هؤلاء قائماً على اختبار القوى والمبدارك العقلية كلها لا على الحافظة وحدها

وليس لأغراض التعليم الالزامي والوسائل أو السياسة المفضية اليها ، ذكرٌ إلا في قانون التعليم الاولي رقم ٤٦ لسنة ١٩٣٣ م ، وفي خطته الدراسية وفي منهجه الدراسي الصادرين بقرار وزاري رقم ٤٧٤ في ١٩ من يونيو سنة ١٩٣٧ م

وفي المادة الحادية عشرة من هذا القانون ، يتضح الغرض المقصود من التعليم الالزامي ، وإن لم يصرح به تصريحاً وهو نحو الأمية ، وزويد الأحداث بطائفة من المعارف بحملة في هذه المادة مفصلة تفصيلاً في المنهج المذكور . وفيها بيان بمجمل المنهج الدراسة وفي المنهج نفسه تفصيل لهذا الاجمال

وفي المادة الثانية عشرة من هذا القانون ونصها : يتناوب البنون والبنات على الدراسة لكل فريق نصف نهار . وفي المادة الثالثة عشرة منه ونصها : عدد الدروس كل أسبوع أربعة وعشرون درساً وكل درس أربعون دقيقة : في هاتين المادتين بيان بمجمل لخطة الدراسة وفي الخططة نفسها تفصيل لهذا الاجمال . وفيهما كذلك بيان الحياة المدرسية اجمالاً



وفي المادة السابعة عشرة منه ونصها : يشترط لتعيين المعلم او المعلمة في المكاتب العامة أن يكون حاصلًا على شهادة الكفاءة للتعليم الأولي من وزارة المعارف العمومية او حاصلًا من الازهر على شهادة العالمية أو الشهادة الثانوية للقسم الثاني : بيان اجمالي لما يشترط في المعلم فأنت ترى أن الغرض الوارد ذكره في قانون التعليم الأولي ، وهو محو الأمية وتزويد الأحداث بمعارف نظرية قليلة ، غرض تافه من شأنه أن ينشط الحافظة بعض التنشيط ثم يقضي على غيرها من قوى العقل وملكانه القضاء المبرم ثم يهدم الجسم والخلق معاً . وقد جاءت السياسة المرسومة له وهي خطة الدراسة ومنهجها ، والنظام المدرسي وإعداد المدرس مطابقة لهذا الغرض تمام المطابقة مؤيدة له في تأثيره السيء أعظم تأييد

فأما خطة الدراسة المجمة في المادتين الثانية عشرة والثالثة عشرة من القانون فقد جعلت مدة العمل المدرسي اليومي لكل من البنين والبنات ثلاث ساعات وربع ساعة واذا طرحنا من هذه المدة مدة الراحة التي تتخلل الدروس عادة كانت مدة العمل الحقيقية ساعتين وثلاث ساعة في اليوم وقد اختصت هذه المدة على قصرها بدراسة نظرية تضيق بها ذرعاً لكثرة مواد الدراسة وضيق الوقت ، وأخلت المدرسة الالزامية من أقوى دعائم التربية وهي الأعمال الجسدية واليدوية فقد قصرت التربية البدنية على حصّة واحدة لكل من السنتين الأولى والثانية في صلب الجدول . أما في بقية السنوات فلا . وجعلت العمل اليدوي في المصانع والمزارع والبيوت تحت اشراف الأولياء فتعذر بهذه الخطة على المدرسة الالزامية كل التعذر أن تمثل الحياتين المنزلية والاجتماعية بل ولا احداها ، لا بل ولا أن تقوم هي بما فرضته عليها هذه الخطة من محو الأمية ونشر معارف تافهة

فقد دلت التجارب في السنين الطوال المواضي على أن هذا الوقت المدرسي وهو ساعتان وثلاث ساعة أضيق من أن يتسع لتعليم القراءة والكتابة حسنّب فكيف يرجى منه أن يتسع لها والحساب ولبقية المواد المفروضة في منهج هذه المدارس ؟ وكيف يمكن بعد ذلك أن يتسع لما هو أعظم من ذلك من وسائل التربية والتثقيف !

لقد عجزت المدرسة الالزامية بهذا النظام عن تحقيق ما يرجى منها وهو تعليم الأحداث القراءة والكتابة وقليلًا من الحساب والمعارف العامة فيبقى المتعلم فيها سنين ثم يخرج منها كما دخل كما دلت التجربة على أن الذين يزاولون الأعمال اليدوية في المصانع والمزارع والبيوت من البنين والبنات أعداد لا تذكر من آلاف التلاميذ والتلميذات وان الذين زاولوها منهم في هذه الأمكنة تحت اشراف اوليائهم لم تأت مزاوتهم إياها بالغرض المقصود منها ، لأن تدريب الأطفال على الأعمال في المزارع والمصانع الصغيرة والبيوت في الأرياف يسير ببطء وبلا نظام



وعلى غير قواعد علمية وفنية ، وعلى أيدي ناس بعوزهم العلم والفن والنظام وهو قوام جميع الاعمال فلا بدّ لادراك الأغراض السامية التي ضربتها مثلاً للتعليم الازلامي من الرجوع إلى نظام اليوم الكامل لكل من البنين والبنات مهما يكلفنا ذلك من نفقات على أن زيادة النفقات يمكن اجتثاثها كما سيأتي ، ولا بد من ألا تقل ساعات العمل في هذا اليوم الكامل عن ثماني ساعات من الثامنة صباحاً إلى الرابعة مساءً ، ومن أن تشمل هذه الحطة على القراءة والكتابة والحساب ومعارف تقوم على تجارب التلاميذ ومشاهداتهم مما له صلة وثيقة بحياتهم وعلى الرسم وأعمال يدوية وأعمال للهو والتسلية وأن تكون الأعمال اليدوية في المدرسة

وأيسر الأعمال اليدوية التي يمكن القيام بها في المدرسة وأكثرها تأثيراً في التربة وأرضها نفقة ، هي صنع الورق المقوي والطين والخشب المضغوط والخوص والحديد والخرز والصفير والجلد ، واستنبات النبات ولو في اوان ، وتربية الدواجن والصناعات الزراعية ، فهذه الأعمال الصناعية والزراعية يمكن أن تعمم في المدارس الازلامية بلا كبير نفقة ولا مشقة

وأما المعلم فإن المادة السابعة عشرة من القانون قد دلت دلالة واضحة على ان المقصود من اختياره على النحو المبين فيها ، إنما هو نحو الأمية فحسب ولو بطريقة عقيمة ، إذ سوت بين اختياره من مدارس المعلمين الأولية ، ومن الأزهر الشريف ممن لم يعدوا الاعداد المطلوب للمدرسة الحديثة ، على أن المعلم الذي أعد لهذه المهنة في مدارس المعلمين الأولية نفسها أعدّ إعداداً آخر أحيط فيه بمظاهر الشيخوخة والوقار ، فلم يمارس في خلال هذا الاعداد عملاً من الأعمال اليدوية والجسدية اللهم إلا ما كان من بعض تمرينات بدنية في أوقات في صلب خطة الدراسة أحياناً وخارجة عنها أحياناً أخرى وأرهق فيه إيما إرهاق بدراسة مواد كثيرة حم عليه أن يمتحن فيما يدرسه منها في المدة المدرسية كلها لامتحاناً واحداً في آخرها وكلها تقوم على قوة واحدة هي قوة الحفظ وحيل بيته وبين وسائل التربية القومعة ، وأساسها الإقامة الدائمة في المدرسة مع حضرات أساتذتها والاندماج فيهم لاندماج الأبناء في الآباء في الأسر ، والأخذ بأوفر نصيب من الأعمال اليدوية والجسدية التي من شأنها تنمية الأجسام وتقويتها وتدريب الأعضاء على الخفة والمهارة وتربية خير الأخلاق في نفوس الشبان كالصبر والجلد ، والثبات وحسن الحيلة ، والتعاون وحب العمل والقدرة عليه والسرور به ، وتربية مملكة الملاحظة وحب الاستطلاع والتفكير والحكم . فلا بدّ لأعداد المعلم المطلوب للمدرسة الازلامية الحديثة من أن تجمع مدارس المعلمين الأولية في القطر كله وهي ثمان في مدرستين اثنتين إحداها في القاهرة والأخرى في أسبوط مثلاً ، وأن يقيم فيها الطلبة إقامة دائمة مع أساتذتهم لا مع ضباط أو مشرفين وأن يقسموا فيها إلى أسر لا تتجاوز الاسرة عشرين طالباً على أن يتعهد كل أسرة



أستاذ من الإساتذة في جميع شؤونها يعاونه بعض الطلبة وأن تشغل هذه الحياة المدرسية كلها بالأعمال الدراسية العلمية والجسدية واليدوية وباللغو المباح على أن تمثل هذه الأعمال في مجموعها الحياتين المنزلية والاجتماعية . ولإني أفضل أن يكون معلمو التعليم الالزامي ولو في المدة الاولى منه من الأنث لا من الذكور

وأما المنهج فهو لا يصلح بأية حال لتحقيق الأغراض المقصودة من التعليم الالزامي لخلوه خلواً تاماً من الأعمال اليدوية ، ولاهمل التربية البدنية فيه اهمالاً يكاد يكون تاماً هو الآخر ولقيام ما فيه من معارف على الدراسة النظرية وحدها ولاعتقاد هذه الدراسة على قوة الحفظ وحدها اللهم إلا ما كان من مقرر الحساب واستنبات النبات في السنتين الأولى والثانية

وشمر نقائص هذا المنهج وأضرها انقطاع صلته بمنهج التعليم الابتدائي ونقصه عن منهج رياض الأطفال في نواحي التربية الجسدية والخلقية فمن مضار هذا الانقطاع والنقص : —

(١) حرمان الأذكاء من تلاميذ المدارس الالزامية وعددهم لا يقل عن ٣ ٪ منهم مواصلة الدرس الى النهاية اذا هم اتموا الدراسة في المدارس الالزامية وظهرت عليهم علام النبوغ ، وقد يكون بعضهم اذا اتاحت له الفرصة لاتمام الدراسة ممن تحيا به الأمة كلها حياة سعيدة (٢) فقدان النجاس التام في تكوين أخلاق الأمة وعقائدها وفي تكوين الرأي العام وتوحيده لتعدد وسائل التثقيف والتهديب للطفولة واختلافها بتعدد مدارس الأطفال واختلافها كذلك . وهذا من أخطر الأمور في حياة الأمة التي تجمعها مصالح مشتركة وحياة متحدة

(٣) قسمة أبناء الأمة الى أغنياء يتربون التربية الأولى في رياض الأطفال والمدارس الابتدائية وفقراء يتربون في المدارس الالزامية وفي هذه القسمة إذكاء لروح سيادة الأغنياء واستعباد الفقراء لا يمكن استمرار أبناء المدارس الابتدائية في التعلم الى النهاية ثم توليهم بعد ذلك مصالح الدولة وانقطاع طريق الاتمام في وجوه أبناء المدارس الالزامية وبقاؤهم طامة وسوقة (٤) الجور في اتفاق مال الأمة اذ ينفق على أبناء المتوسطين والأغنياء في رياض الأطفال والمدارس الابتدائية ما يجب أن ينفق عليهم وعلى أبناء الفقراء في المدارس الالزامية وما يتبع ذلك من عجز هذه المدارس عن استيفائها مقوماتها من أمكنة جيدة وأثاث صالح وكتب وأدوات وغير ذلك من وسائل التربية وعن القيام بنفقات معلمها الضرورية

وخير علاج لذلك هو إدماج رياض الاطفال والمدارس الابتدائية في المدارس الالزامية وجعلها جميعاً مدرسة واحدة مدتها ست سنوات يقبل فيها الأبناء والبنات . من السنة السادسة الى السنة الثانية عشرة على أن تكون الثلاث الاولى منها للبنين والبنات معاً ويدرس فيها معلمات ، والثلاث الاخيرة منها يفصل فيها البنون عن البنات ويدرس في مدارس البنين معلمون على أن



يكون منهج السنوات الثلاث الأولى هو منهج رياض الأطفال القائم الآن مع تعديل طفيف وهو أن تكون دراسة الحيوان الواردة فيه عملية ، وكذلك موضوعات الصحة يؤخذ فيها الأطفال بالتدريب العملي لا بالشرح والكتابة ومنهج السنوات الثلاث الاخيرة هو منهج السنوات الثلاثة والرابعة والخامسة من منهج التعليم الازامي على ان تكون دراسة النبات والحيوان فيه عملية ، وأن تكون دراسة التاريخ كلها من اولها الى آخرها تراجم لعطاء الرجال مع بيان ما لا بد منه مما يحيط بهم في عصورهم وعلى ان يضم اليه اعمال يدوية وجسدية بحيث يكون ثلث الوقت للدراسة النظرية الواردة في المنهج المذكور وثلثاه للاعمال الجسدية واليدوية وغيرها من العاب للتسلية والمرح إن في ادماج هذه المدارس الثلاث بعضها في بعض إحياء للمدرسة الازامية بتربية أبناء الفقراء والمتوسطين والأغنياء فيها فتكون موضع عناية الدولة كلها ولا يشغلها عنها رياض الأطفال والمدارس الابتدائية ولا مانع مع كونها مدارس الزامية أن تفرض فيها على أبناء القادرين نفقات مدرسية يحسّن بها حال هذه المدارس

وبهذا الادماج يوفّر ما ينفق على رياض الأطفال والمدارس الابتدائية ويتفق على المدارس الازامية وإنّي لأطمع في أكثر من ذلك إذا أمكن إدماج المدارس الابتدائية ورياض الأطفال في المدارس الازامية وجعلها مدرسة واحدة أن تتخلى وزارة المعارف عن المدارس الثانوية لأفراد وجماعات من رجالها الفنيين على أن تعاونها بالمال وبالإشراف عليها كما تفلت عن المدارس العالية لجامعة فؤاد الأول فتحقق بذلك غرضين عظيمين أحدهما فتح باب التنافس والاستقلال أمام المدارس الثانوية لئلا يبلغ أسمى درجات التقدم والآخر أن تنفرغ هي بعد ذلك لنوع واحد من التعليم هو التعليم الازامي القومي وحده وأن تتفق فيه وعليه كل جهودها وأموالها وتفتن كل الاقتنان في تربيته وتثيبت أقدامه واعلاء شأنه

أما اللغة الأجنبية وهي العامل الوحيد في بقاء المدارس الابتدائية بجانب المدارس الازامية فلا ضرورة مطلقاً لتعليم الاولاد هذه اللغة في هذه السن من السادسة الى الثانية عشرة بل في تعليمها في هذه السن مضار كثيرة فيجب ارجاء تعليمها الى المدارس الثانوية التي تكون مرحلة تالية لمرحلة التعليم الازامي والكلام في تعليم اللغة الأجنبية طويل يضيق به هذا المقام وأما الامتحان فهو قائم في بلادنا منذ قيامه في العهد الأخير على أشأم ما يقوم عليه الامتحان وهو اختبار الحافظة وحدها ولذلك لا يعنى المتحذون بدروسهم الا قبيل الامتحان وهذا من شأنه اقامة المواهب والملكات العقلية فيجب ابعاد هذا النظام عن المدرسة الازامية ابعاداً تاماً على أن يكون الاختبار في هذه المدارس اختباراً للعدارك والقوى كلها وليس بلام ان تلزم طرقه الحاضرة



# طمسن والكهرب

بدء الانقلاب في علم الطبيعة الحديث

ومنشئ علماء كمبرج لبحث الذرة

لولا الاتفاق لما علمنا ان السر جوزف طمسن مكتشف الكهرب قد قضى فخرنا لأن انباء التدمير تغطي على ذكر أحد البناء ، ذكر رجل كان أميراً من امراء البحث العلمي الحديث في الذرة . فهو الذي أثبت وجود الكهرب ، وان الذرة ليس كما قال ديموقريطس ودلتن غير قابلة التجزئة . وأنجب تحت اشرافه وارشاده طائفة من اعظم علماء الطبيعة في هذا العصر وفي طليعتهم رذرفورد وقد سبقه الى عالم الخلود ويمكن الاميركي وولسن ( C. T. R. ) ونجله وليم طمسن وغيرهم

ولو اراد الكاتب ان يلخص سيرة طمسن لكفاه ان يقول : « كشف الكهرب ودرّب هؤلاء العلماء » ولأوعى في قوله نصف الانقلاب العظيم في علم الطبيعة الحديث

في سنة ١٨٩٧ ، اذ كان الاستاذ كوري وزوجته ، ماضين في تنقيهما عن عنصر الراديوم ، حل أحد أسياذ البحث الطبيعي الحديث ، مشكلة معقدة تتعلق ببناء المادة الأساسي . أو على الأقل شق طريقاً جديداً قد يفضي الى الحل النهائي . وهذا السيد هو جون جوزف طمسن

ولد طمسن ( J. J. ) قرب منشستر سنة ١٨٥٦ وكان في نيته اولاً ان يصبح مهندساً ولكن هذا الامير بين العلماء ، أقبل على البحث العلمي المجرد ، لأنه لم يفلح في بعض الموضوعات التي تقتضيها الشهادة الهندسية ! فحضر كلية اوين بمنشستر ، وكانت قد خصصت فيها حينئذ جائزة للبحث العلمي في أحد موضوعات الكيمياء ، لذلكي جون « دلتن » صاحب المذهب الذري في بناء المادة . فلم يلبث أن خرج من كلية اوين الى جامعة كمبرج ، حيث أضاف اسمه الى اسمي مكتشفي الذرات والجزئيات أي دلتن وأفوجادرو ، وذلك باكتشافه الكهرب ( الألكترون ) في جامعة كمبرج ، كان لورد « راليه » مديراً لمعهد كافندش العلمي . وقد كان راليه خلفاً لذلك

العالم الطبيعي الرياضي العظيم — جيمز كلارك ماكسول — في منصب استاذ علم الطبيعة التجريبي . ولكنه بعد انقضاء خمس سنوات على تعيينه في هذا المنصب ، عزم على الاستقالة ( ١٨٨٤ ) فطلب اليه ان يقترح اسم من يخلفه في هذا المنصب العلمي الخطير . فأشار من دون أقل تردّد الى الشاب



الذكي الألمي ، جون جوزف طمسن فأحدث النبأ لغطاً ، في دوائر العلم ، اذ كيف يخلف في  
في الثامنة والعشرين ، عالمين مثل مكسول ورايه العظيمين ؟

كانت دلائل الألمية قد بدت في مباحثه ، وكان قد نال إحدى الجوائز العلمية في الجامعة  
وهو في الخامسة والعشرين ، على رسالة بيّن فيها مواطن الضعف في المذهب القائل بأن الذرات  
المادية ، هي دوامات في الاثير . ولا ريب في أن هذه الرسالة نالت إعجاب العلماء بدقتها  
وقوة حجتها . ولكنه كان حديث العهد بالطبيعة التجريبية . فكيف يشرف على أعظم معهد للطبيعة  
التجريبية في العالم ، وهو من لم يمارسها ويقتلها تجربة ومرانة ؟ واجتمع المجلس الذي عهد إليه  
بانتخاب الاستاذ الجديد — وكان مؤلفاً من لورد كلفن والسر جبرائيل ستوكس والاستاذ  
جورج دارون — فتداولوا ، ووقع اختيارهم بالإجماع على الفتى القادم من منشستر . فما أعلقت  
نتيجة الانتخاب حتى قال أحد كبار الأساتذة متهمكاً : « هذه ظلال كلارك مكسول لا بد أن  
تكون الأمور على غير ما يرام في جامعة نيوتن إذ يصبح الصبيان فيها أساتذة »

وكذلك أتبع الفتى في الثامنة والعشرين أن يشغل منصباً حلّ فيه قبله عالمان من اكبر  
أعلام الطبيعة الحديثة . ولكن معمل كافندش أصبح برعامة ، زعيم المعاهد العلمية في العالم في  
البحث عن أسرار الطبيعة ولا سيما طبيعة الذرة ، ومحاولة النفوذ الى خفاياها . هنا كانت تخلق  
عقول الباحثين الى ذرى لا تسامى . وفي « قدس » هذا الهيكل العالمي ظلت روح الفتى طمسن  
ترفرف مسيطرة على معاونيه وخلفائه ، أكثر من نصف قرن

\*\*\*

رأى طمسن ببصيرته النافذة ان في الكهرباء مفتاح أسرار الكون . فالتحذها ميداناً  
لبحثه . وكان قبيل دخوله جامعة كمبريدج قد سمع عن أنبوب زجاجي استنبطه رجل انكليزي  
آخر يدعى وليم كروكس . وكان كروكس يأخذ أنبوبة هذا ، ويفرغ منه الهواء على قدر ما  
يستطيع ، تاركاً جزيئات قليلة فيه ثم يختمه ختماً محكماً ثم يمر فيه تياراً كهربائياً فيشاهد  
تألقاً بهيئاً عند المهبط — القطب السالب — . كيف يعلل هذا الضوء الغريب ؟ ان الجزيئات  
القليلة في هذا الأنبوب ينبعث منها ضوء ضئيل باهت وزجاج الجدران يتألق بضوء أصفر مخضر  
ولكن هل هذا ضوء ؟ فالضوء كما أجمع رجال العلم الى ذلك الحين ، كان شيئاً غير مادي  
وهذه الأشعة المنطلقة تخضع لجذب قطعة من المغناطيس المكهرب اذا أدنيت من الأنبوب .  
فدهش كروكس وتحير . ضوء ولكنه في الوقت نفسه مادة لا غش فيها . فكيف يوفق  
بين هذين المتناقضين ؟

ولما لم يجد كروكس اسماً لاثقاً بهذه الأشعة قال إنها حالة رابعة من حالات المادة — فلا



هي غاز ولا سائل ولا جماد — وأطلق عليها اسم « المادة الشاعية ». ومع ذلك ظلت حقيقتها سرّاً محجوباً عن الافهام . وكان كروكس لو علم على قاب قوسين أو أدنى من اكتشاف الكهرب (الألكترون) . ولكن حسبهُ أنه نفّح العلم بأداة للاكتشاف استعملها رنتجن فكشف عن الأشعة السينية وعمل طمسن بها العجب العجائب

أخذ طمسن يبني هذه الأنابيب ويفرغ منها الهواء حتى صار الهواء داخل بعضها أظلم من الهواء الذي تنفّسه عشرين ألف ضعف . وكان معه سبعة طلاب في معمل كافندش فدعى أحدهم ليساعده في امرار الكهربائية في الأنابيب فأمرًا تيارات عالية الضغط وجعلوا راقبان الألفة الباهية البادية في الغرفة المعتمة

ثم جعل طمسن يتأمل في انحناء هذه الأشعة بفعل المغنطيس . فانه إذا أدنى مغنطيساً من الأنبوب الذي تنطلق فيه هذه الأشعة ، انحرفت الأشعة نحو المغنطيس كما تنحرف برادة الحديد . ثم غير أحوال تجاربه العديدة فاستعمل أنابيب على درجات متفاوتة من الافراغ ، واستعمل مواد مختلفة في القطب السالب ، وتيارات متباينة القوة من الكهربائية . وانقضت سنون وهو يغير أحوال التجارب ويدوّن مشاهداته

وفي سنة ١٨٩٠ تزوج سنة ١٨٩٤ انتخب رئيساً للجمعية الفلسفية في كمبردج ثم دعي الى جامعة برنستن الأميركية فحاضر فيها في موضوع (التيارات الكهربائية في الغازات) وكان في أثناء ذلك كله ينشئ نظرية جديدة ، لم ينزلها منزلة الاعتقاد ، لان النظرية عنده انما كانت خطة للعمل ودليلاً هادياً للبحث

\*\*\*

كان بحث فراداي في « الحل الكهربائي » قد حمله على الاشتباه في وجود ذرات من الكهربائية . وكان هاملتز قد تجرأ سنة ١٨٨١ وصرّح أمام الجمعية الملكية « بأن الكهربائية مجزأة الى قطع أولية تتصرف كأنها ذرات كهربية » وفي تلك السنة نفسها ، كان طمسن — وهو في الخامسة والعشرين — قد وزن كتلة كرية من ابّ عود قبل كهربتها وبعدّها ليعلم هل للكهربائية وزن . ثم امتحن شحنة كهربائية متحركة فوصل الى النتيجة الآتية : ان للشحنة الكهربائية ، قصوراً ذاتياً وهذه صفة من صفات المادة

وعاد طمسن الى كمبردج من أميركا ووالى مباحثه . ثم في مساء ٣٠ ابريل سنة ١٨٩٧ أعلن امام الجمعية الملكية النتيجة الفاصلة بين عهدين ، في تاريخ الطبيعة الحديث اذ قال : ان أشعة المهبط هي دقائق من الكهربائية السالبة . فأنكر بذلك ان الذرة هي نهاية ما تتجزأ



اليه المادة . وقد كانت الذرة ، منذ أثبت دلتن وجودها سنة ١٨٠٠ نحسب الدقيقة الأساسية التي تبني منها المادة ، بل جميع اشكال المادة في الكون . ولكن ها هو ذا طمسن يفسد هذا الاعتقاد . وكان روبرت بويل ، الكيميائي البريطاني العظيم قد قال إن العناصر هي « حدود التحليل الكيميائي » « وان حلها بطريقة نعرفها متعذر » . ثم أضاف الى ذلك « ولكن قد توجد طريقة تبلغ من القوة والحيلة ما يمكننا من حلها الى دقائق أصغر وأبسط منها » . ولا ريب في ان بويل لم يتصور قط علم الطبيعة الجديد ولا علم الكيمياء الجديد . ولكن طمسن تصورها وكان من بنائهما . فانه كان شديد الثقة ببساطة الطبيعة فقال لا بد ان يوجد شيء أبسط من ٩٢ ذرة مختلفة من ذرات المادة ، مميزة احداها عن الأخرى . وهذا الشيء — الذي تتألف منه أشعة المهبط — دعاه الالكترن (الكهرب)

هذه الكهرباء ، كانت قبل انطلاقتها جزءاً من الذرات التي انطلقت منها ، وهي متشابهة مهما تختلف المصادر التي تنطلق منها . وهي ذرات من الكهربية السالبة ، ولها وزن ، وهي تنطلق بسرعة ١٦٠ ألف ميل في الثانية ، وكل عنصر من العناصر الاثني والتسعين مبني منها هذا ملخص الحقائق التي أعلنها طمسن للعالم . فهل يصدق العلماء الذين يحترمون نفوسهم؟ لم يكن طمسن مشعوذاً ، بل كان غرضه الحقيقة كما كانت غرض المتردين . لذلك آلى على نفسه ، أن يثبت صحة وجود الكهرب ، بوزن كتلته . لا نعرف رجلاً أخذ على طائفة عملاً أصعب من هذا العمل ! ولا يُعلم عن رجل ، غير متصف بلباقة طمسن وألمعيته وخياله كان يستطيع أن يهيب النجاح

\* \* \*

قلنا ان هذه الأشعة المنطلقة في انبوب من أنابيب كروكس ، تنحرف اذا أدنيت قطعة مغناطيس الى الانبوب ، ففاس طمسن مدى هذا الانحراف ، وقوة المغناطيس ، وفي تيه من الأرقام والمعادلات والاحصاءات ، وصل الى رقم قال انه النسبة الثابتة بين الشحنة الكهربائية على الكهرب وكتلته ، ثم قال ان وزن الكهرب أقل نحو ألفي ضعف من وزن ذرة الايدروجين وهو أخف العناصر على ما نعلم . اي ان كتلة الكهرب جزءاً من نحو ألفي جزء من كتلة ذرة الايدروجين

على ان العالم لم يصدق ، رغم العجائب العلمية التي توالى في مآخيم القرن التاسع عشر . وظل الريب في نفوس العلماء يحيط بنتائج طمسن ، وحتى طمسن نفسه لم يكن مقتنعاً كل الاقتناع بدقة النتائج التي وصل اليها



فدعا اليه أحد تلاميذه (C. T. R. Wilson) وكان طمسن قد شاهده وهو يجرب تجارب بجهاز استنبطه لا حصاء دقائق الهباء والغبار. وكان قوام هذا الجهاز حجرة يتكشف فيها بخار الماء في أحوال معينة على تلك الدقائق فيصبح تصويرها مستطاعاً. فأضاف ولسن إلى الحجرة جهازاً للتصوير. وقال طمسن لولسن: أتستطيع أن تصور الكهرب؟ أتستطيع محصي دقائق الغبار أن يلقي اليد ولو لحظة عابرة على الكهرب لكي بصوره؟ إنه عمل أشبه ما يكون بالاعجاز. ولكن ليس ثمة مستحيل على تلميذ «الاستاذ»

والواقع ان ولسن أكب على بحثه أربع عشرة سنة حتى أتمه وكان ذلك في أواخر سنة ١٩١١ وطريقته — طريقة الحجرة الغائمة — أصبحت من أهم الأساليب في بحوث الذرة. وقد فصلنا مبدأها قبلاً في المقتطف ولا مجال إلى العودة إليه الآن

وبينما كان ولسن معنياً بتصوير الكهرب، كان مليكن (R. A. Millikan) في جامعة شيكاغو الأميركية منصرفاً إلى استفراد كهرب واحد ووزنه. وإذا علمت أنك تستطيع أن ترصف مليوني ذرة في مدى نقطة حرف النون أدركت أن ملكن كان مقدماً على أمر يكاد يكون مستحيلاً ولكن ملكن كان قد قرأ كل ما كتبه طمسن وتلاميذه عن تجاربهم فتولته حماسة تفوق حماسة الباحث عن كنز عظيم في انقراض هيكل قديم

وقد نجح ملكن في تجربته. وهي التجربة التي تعرف في علم الطبيعة بوصف تجربة «قطرة الزيت» واعادها مئات المرات ليستوثق من دقة نتائجها فخرج منها بان وزن الكهرب يبلغ جزءاً من ١٨٥٠ جزءاً من وزن ذرة الايدروجين ( $\frac{1}{1850}$ ) وهي نتيجة تتفق مع نتيجة طمسن النظرية التقديرية اذ قال انه أي وزن الكهرب ( $\frac{1}{3.3 \times 10^{-18}}$ )

فلما سمع طمسن بهذا البحث العجيب واطلع على وصفه المفصل لم يستغرب انه استغرق ثلاث سنوات وليس بالغريب ان يبق الكهرب مخفياً عن عين الناس. فان اصغر دقيقة عادية نستطيع رؤيتها تحتوي على عشرة آلاف مليون جزيء والجزيء قوامه بضع ذرات يختلف عددها باختلاف الجزيء ومن الجزيئات ما يحتوي على مئات او الوف الذرات كعض جزيئات (المواد البروتينية) واحف ذرة تفوق الكهرب ١٨٥٠ ضعفاً في كتلتها

ما معنى هذه التجارب! انها تعني ان المادة والطاقة الكهربائية شيء واحد. وهو رأي ألفنهام الآن واكتنه كان في اواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن رأياً ينطوي على بذور الثورة التي قلبت جانباً من علم الطبيعة رأساً على عقب وطمسن أحد قوادها المقدمين



# نظام

ديوان الاستخبار في الهند

في عهد المسلمين

للسيد أبو النصر احمد الحسيني الهندي

إن ما يسطع به سعد الدول فيضعاف يسارها ، ورسو به دعائم الحكومات فيمرع جنبها ، هو قيام العدل واستناب الأمن ، ولا أمن اذا لم يكن هناك عدل ، كما انه لا عدل اذا لم يستتب أمن ، فان الأمن نتيجة العدل وثمرته كما ان العدل نبعته وأصله . ولذلك فاقامة العدل أول خطوة تخطوها الدول والحكومات لتثبيت قواعدها واطراد نعيمها وأول غاية يتوخاها الفاتح والمستعمر لرسوخ القدم في البلاد وجني ثمارها

ولكن إقامة العدل او استناب الأمن ليس شيئاً يسير الملتبس داني المتناول يرجى هيناً ويتفق سهلاً ، لأنه يتوقف على سبر غور الأمور باستخبار الحوادث واستنباء الوقائع واستطلاع أسبابها وعوارضها واستقصاء ظواهرها وبواطنها . فلذلك جرت السنة من القدم عند الدول والحكومات ان تنشئ ادارة او ديواناً خاصاً لمعرفة أحوال البلاد

جازت تلك الادارة منذ ولادتها في التاريخ أطواراً مختلفة من التقلب والتقدم كما هو حال كل عمل انساني حتى وصلت في العصر الحاضر الى ما أنفضجته التجارب وخرته البصيرة وأخلص جوهره الجدد وعجم عوده الفكر ، فكان في الهند مثلاً قبل ان يفتحها المسلمون ادارة واسعة النطاق وافرة الأعضاء «لقلم الاستعلامات» . ولكنها كانت بعد في دور التكون والتطور إذ كان الاعتماد في أكثر أعمالها على نقل الاخبار ومرد الروايات مشافة . وكان ينقسم أعضاؤها الى قسمين : المتكبرين وغير المتكبرين . أما القسم الأول فكان يشمل جميع الجواسيس والخبرين المنتشرين في طول البلاد وعرضها . وكان واجبه اعلام حكامهم بكل صغيرة وكبيرة حدثت في البلاد . وأما الثاني فكان يحتوي على جميع ممثلي الحكومة في الخارج مثل السفراء وكان واجبه اخبار الحكومة بكل ما يهبطها بواسطة الرسل



وحين فتح المسلمون الهند آثروا في حكمها النظام القديم، غير أنهم سدوا خلله وثقفوا أوده وقاموا فيه باصلاحات لا يستهان بها حيث أصبحت فيما بعد مصدراً للتقدم أما استعمال الأخبار الخارجية فلم يغيروا نظامه بل أبقوه كما كان ، واعتمدوا فيه مثل أسلافهم على التقارير والبيانات الشفهية للرسل من ممثلي الحكومة في الخارج ، وللسياح والتجار ، والحجاج ، والوقود. فعمل ذلك أن لم يكن عندهم حيثئذ للامور الخارجية شأن يذكر لأنهم كانوا في مأمن من الهجوم الخارجي لقوتهم الوافية للذود عن حوزة مملكتهم ولعلائقهم الحسنة مع الدول والحكومات المجاورة لهم

وأما استعمال الأخبار الداخلية فأبدلوا الشفهي من نظامه بالتحريري ، وهو اصلاح ذو شأن عظيم ، اذ الشفهي يسع من القول الجراف ، والباطل المشاع ، والظن المرجوم ما لا يسهل التحريري . أضاف الى ذلك ما نجم عنه من الاصلاحات الهامة الأخرى في الادارة فانه اقضى قبل كل شيء اختيار الخبرين والجواسيس من الطبقة المتعلمة الراقية ، فأتى بالتحول في أساليب الاستعلام وأزال عنها سوء الفهم ، وروح القنوط وأدخل في روع الموظفين شعوراً قوياً للمسؤولية

على هذا النمط تقدم في عهد المسلمين ديوان الاستخبار الذي أنشأه الحكام الهنود الوثنيون قبلاً ، فالمسلمون داووا سقمه ، وقوموا ميله ، وسووا زيفه حيناً بعد حين حتى بلغ في عهد الملك المتولي محي الدين عالمكير اورنك زيب مبلغاً من التقدم لا يبعد كثيراً عن العصر الحاضر ، لذلك أصبح ركناً هاماً لنظام المملكة . ولكي نلمس خطورة شأن هذا الركن يجدر بنا ان نميط اللثام عما كانت ادارته تنهض بأعبائه وما يتولاه أعضاءها المختلفون من مهام

\*\*\*

كانت الادارة تتكوّن من مناصب ووظائف هامة مختلفة ذوات واجبات خاصة يقوم بها أصحابها أعضاء تلك الادارة . واليك بيان أهم تلك المناصب والوظائف : —

١ — منصب «وقائع نكار» أو «وقائع نويس» أي كاتب الوقائع . وهو منصب أنشئ في كل ناحية من نواحي البلاد وكان واجب صاحبه ان يرسل كل اسبوع بياناً عن تحصيل الحياة وتدير الأراضي ، وعن كل ما وقع في علمه من أمور البلاد وماليتها (١)

٢ — منصب «سوانح نويس» أو «سوانح نكار» أي كاتب الأخبار . وهو منصب أنشئ في مراكز البلاد فقط . ومكانة هذا المنصب في رتب الحكومة هي أن صاحبه كان يقدر



ان يحشد عشرين عسكرياً<sup>(١)</sup> والفرق بين « وقائع نكار » و « سوانح نوبس » هو ان الأول كان يقوم بواجبه غير متسكر وتحتوي بياناته على الوقائع فقط . وأما الثاني فتحتوي بياناته على الوقائع والاخبار والاشاعات وغيرها . وكان يقوم بواجبه متسكراً لذلك سمي أيضاً « خفيه نوبس » أي الكاتب السري . ولكن لم يبق تسكره فيما بعد حين استخدم في تدبير البريد الملكي وكان هذا المنصب تحت تصرف « داروغه داك » أي مدير البريد للمملكة بأسرها<sup>(٢)</sup>

٣ — وظيفة « هركاره » أي الجاسوس . وواجب صاحبها تقديم التقارير عن أخبار منطقته الى مدير أفليميه ، والمدير كان يرسلها داخل ظرف في « نلوه داك » أي أنبوبة البريد الى « داروغه هركاره » أي مدير الجواسيس في الديوان الملكي . وكان هؤلاء « هركاره » منتشرين في البلاد من أقصاها الى أقصاها وعددهم كان يربي على أربعة آلاف<sup>(٣)</sup>

٤ — منصب « داروغه هركاره » أي مدير الجواسيس . وواجب صاحبه أن يتسلم من هركارهات ( أي الجواسيس ) جميع أصناف المعلومات عن البلاد سواء أكانت من قبيل الوقائع أم الاشاعات أم الأخبار أم غيرها ، ثم يقدمها الى الملك وكان هذا المنصب في المملكة ذا عز وجاه كبير لما كان يحوزة صاحبه من اعتماد الملك العظيم وثقته ورضائه<sup>(٤)</sup>

٥ — وظيفة « ميوره » أي الساعي . « وميوره » لقب لسكان ميوات ناحية من نواحي الهند في ذلك الزمن والآن يسمى هؤلاء « ميواتي » وأطلق هذا الاسم على الساعي لأنه لم يكن يعين فيها الا هؤلاء لشهرتهم في سرعة الجري والنشاط في العمل ولقيامهم بأعقد الواجبات بسهولة<sup>(٥)</sup>

٦ — منصب « داروغه داك » أي مدير البريد . وصاحبه كان رئيساً « لميورهات » أي السعاة الذين كانوا يحملون البريد من مرحلة الى مرحلة . وكذلك كان يرأس كتاب اليوميات الرسمية والخبرين<sup>(٦)</sup>

٧ — منصب « وقائع خوان » أي قارئ الوقائع . وواجب صاحبه ان يقرأ للملك التقارير المرسلة من جميع نواحي البلاد والمقاطعات . لذلك لم يكن يعين فيه إلا أكثر الرجال علماً وأعلام مكانة وأشرفهم نسباً<sup>(٧)</sup>

[ يتبع ]

(١) كان يقاس في ذلك الزمن رتب أراكين الحكومة وموظفيها وفق قدرتهم على حشد عدد

معين من العساكر (٢) تاريخ مرآت أحمدي صفحة ١١٧

(٣) أنظر بادشاه نامه في حوادث سنة ١١٢٠ هجرية وأيضاً تاريخ مرآت أحمدي صفحة ١١٨

(٤) معلة الآفاق (٥) آئين أكبرى مجلد أول صفحة ٢٥٢ (٦) معلة الآفاق (٧) أيضاً



عريفة المصنف

# البستاني

للشاعر الفيلسوف الهندي رابندراناث طاغور

— الجزء الثاني —



نقلها الى العربية : كامل محمود حبيب



## البستاني

للشاعر الفيلسوف طاغور

— ٢٥ —

« تعال إلينا — أيها الشاب — وخبرنا : لماذا تبدو سماءات الحيرة في نظراتك ؟ »

— « لست أدري أي خمر من عصير الحشخاش المنشور شربتُ ، هذا هو ما نفت سماءات الحيرة في نظراتي »  
— « آه ، يا للعار ! »

— « نعم ، إن في بعض النظرات حكمة وفي البعض غباء . في بعضها الیقظة وفي البعض الالهال . وهنا أعين تبسم وهناك عيون تذرف الدمع ... غير أن سماءات الحيرة تبدو في نظراتي »

— « لماذا تقف أيها الشاب — صامتاً في فيء شجرة ؟ »  
— « لقد تفتّرت قدماي من أثر النقل الذي ينوء بقلبي ، فوقفت صامتاً في الفيء »  
— « آه يا للعار »

— « نعم ، إن بعض الاقدام تتطلق على سننها والبعض يتمهل ، إن بعضاً يستمتع بالحرية والبعض يستشعر ثقل القيد ... أما قدماي فقد تفتّرتا من أثر الثقل الذي ينوء بقلبي »

— ٢٦ —

— « إن ما تجود به يدك في رضا سأقبله ثم لا أسأل غيره »  
— « نعم ، نعم . إنني أعرفك أيها السائل الرفيق . فأنت تطلب كل ما أملك »

— « وإذا أذنت قنلتُ زهرة من زهراتك فسأضمها في ثنايا قلبي »  
— « وإذا كانت حسكة ؟ »



— « إذن أحتملها في صبر »

— « نعم ، نعم ، إنني أعرفك أيها السائل الرفيق . فأنت تطلب كل ما أملك »

\* \* \*

— « لينك ترفعين إلى وجهي نظراتك الحبيبة مرة واحدة ، إذن تنفثن  
في حياتي السعادة الأبدية

— « وإذا كانت حدجات قاسية ؟ »

— « إذن أدعها تحز قلبي »

« نعم ، نعم . إنني أعرفك أيها السائل الرفيق ، فأنت تطلب كل ما أملك »

— ٢٧ —

— « آمن بالهوى المحض ولو أورث الأسي ، ولا ينفلق قلبك دوني »

— « آه ، لا يا صديقي ، إن كلماتك غامضة لا يستطيع فهمها »

\* \* \*

— « يا من أحب ، إن القلب صُنع ليقفح عن عبوة وأغنية في وقت معاً »

— « آه لا يا صديقي إن كلماتك غامضة لا يستطيع فهمها »

\* \* \*

— « إن اللذة واهية كأنها قطرة ندى تبسم وهي تموت ، أما الحزن فهو

شديد معمّر ، فأجعل الهوى الحزين يتسعر في ناظريك »

— « آه ، لا يا صديقي إن كلماتك غامضة لا يستطيع فهمها »

\* \* \*

— « إن زهرة اللوتس تزدهر تحت نظرات الشمس ثم تفقد كل ما أصابت

إنها لن تظل إلى الأبد في كسها في ضباب الشتاء السرمدي »

— « آه لا يا صديقي إن كلماتك غامضة لا يستطيع فهمها »

— ٢٨ —

إن في نظراتك المستوضحة أسي . إنها تحاول أن تكشف عن معاني قلبي

كما يبتغي القمر أن ينفذ إلى أعماق البحر

لقد نشرت أيام حياتي جميعاً أمام ناظريك في غير خفاء ولا موارد . ولهذا

فأنت تجهليني



ليتها كانت دُرّة فأحطمها ثم أنظمتها عقداً أزين به جيدك  
ليتها كانت زهرة صغيرة مستديرة جذابة فأقطعها لأحلي بها شعرك  
ولكنه قلبي — يا من أحب — فأين شاطئاه وأين غوره ؟  
إنك لا تستطيعين أن تجدي حدود هذه المملكة ، على حين قد جلست أنت  
على عرشها

ليتها كانت لحظة من لحظات اللذة فتفتّح عن بسمة سهلة تستطيعين أنت — في  
لحظة — أن تنظري إليها وتستشقي ما بين سطورها  
ليتها كانت من خالص الألم فتدوب في عبرات رقرقة ، ينعكس عليها السر  
العظيم في غير حديث

ولكنه هو الهوى ، يا من أحب  
إن لذاذته وآلامه لانهاية ، وإن رغباته ونضارته لا غور لها  
وهو قريب منك كحياتك ، ولكنك لن تحيطي به علماً

— ٢٩ —

تحدثت اليّ — يا من أحب — وخبرني ، في كلام ، عن أغانيك  
لقد أغطش الليل ، وتسربت النجوم السحب ، وراحت الرياح تنهد خلال  
أوراق الشجر  
لن أصف شعري ، وسألتفع بعباءتي الزرقاء وهي كأنها الليل ، ثم أضمت  
رأسك الى صدري ، وهناك في الخلوة الحبيبة الى النفس أمس في قلبك ، وأغضت  
عيني في سكون ثم لا أهدق في وجهك  
وحين تنتهي كلماتك ، نجلس معاً في هدوء وصمت ، والأشجار من حوالينا  
تهمس في الغسق

سينهزم الليل ويتنفس الصبح  
فيهدق كل منا في عيني رفيقه ثم ينطلق الى غايته  
فتحدثت اليّ — يا من أحب — وخبرني ، في كلام ، عن أغانيك

— ٣٠ —

أنت سحابة المساء التي تسبح في سماء أحلامي



اني أصورك وأشكلك كما يحلو لرغبات هواي  
فأنت لي ، لي يا من تعيشين في أحلامي الخالدة !  
\* \* \*  
إن قدميك في احمرار الورد من أثر أجيج رغبات قلبي ، يا من تحصدن  
أغاني عند الغروب !

إن شفتيك فيهما الحلاوة اللذاعة ، فهما في مذاق خمر آلامي  
فأنت لي ، لي يا من تعيشين في أحلامي الخالدة !  
\* \* \*  
أفبعتُ الدمع في عينيك حين مددت ظلال حبي ، يا من نفذت الى غور نظرائي !  
لقد جذبتك إلي ، يا من أحب ، ولففتك في شباك موسيقي  
فأنت لي ، لي يا من تعيشين في أحلامي الخالدة !

— ٣١ —

إن قلبي ، الطائر الهائم ، قد وجد سماءه في عينيك  
فهما مهد الصباح ، وهما دولة النجوم  
وإن أغانيّ تفلّ في أعماقها  
فدعيني أخلق في سماءها . . . في فضاءها المنفتح الخالي  
ودعيني أخترق غمامها لأنثر جناحي تحت أشعة شمسها

— ٣٢ —

خبرني ، يا حبيبي ، أكلُ هذا حق ، خبرني أكلُ هذا حق ؟  
انه حين ترسل عيناى شعاعهما اللامع ، تعصف له سحب صدرك المكفهره  
أحق أن في شفتي حلاوة كما تفتح كمُ الهوى الأول ؟  
أقتحليج في أطرافي ذكريات شهور مابو المنطوية  
أقتفجر الأرض ، كأنها قينار — عن لحن موسيقى تحت لمسات قدمي ؟  
أحق أن عيني الليل تذرقان قطرات الندى حين تبصران بي ، وأن نور  
الصباح يبدو فرحاً طروباً حين يضمني اليه ؟  
أحق ، أحق أن غرامك قد اخترق الأحقاب والدنا يفتش عني ؟  
وأنك حين وجدتني وجدت رغبتك القديمة ، الهدوء الجميل في حديثي العذب ،  
وفي عيني ، وفي شفتي ، وفي شعري السيط المتسدل



ثم . . . أخفق ان سر الأبدية مسطور على هذا الجبين الصغير . . . جيني ؟  
خبرني ، يا حبيبي ، أكل هذا حق ؟

— ٣٣ —

أنا أحبك ، يا حبيبي ، فاعفر لي حي  
إنني مأخوذ كطائر ضل الطريق  
حين اضطرب قلبي سقط عنه قناعه فبدا سافراً ، فلفه — يا من أحب — في  
الأحزان ، واعفر لي حي

\* \* \*  
وإذا لم تستطع ان تحبني — يا من أحب — فاعفر لي آلامي  
ولا ترمقني شزراً من بعد

فسأنسل الى زاوية ، وأنطوي على نفسي في الدجى  
ثم أداري خيبي السافرة بكلتا يدي

أدر وجهك عني — يا من أحب — ثم اغفر لي آلامي

\* \* \*  
وإذا كنت تحبني — يا من أحب — فاعفر لي أفراحي

وحين ينتفض قلبي من إثر فيض السعادة الذي يغمره فلا تمل الى الهجران القاتل  
وحين أستوي على عرشي فأحكم فيك بأمر الهوى العاتي ، وحين أسبغ عليك  
بعض آلائي كأنني آلهة ، فاصبر على كبريائي — يا من أحب — واعفر لي أفراحي

— ٣٤ —

لا تبرح — يا حبيبي — إلا أن آذن لك

لقد سهرت طول الليل أرقب ، والآن أستشعر السكرى بداعب جفني  
غير أنني أخشى أن أفقدك حين تأخذني سنة من النوم

فلا تبرح — يا حبيبي — إلا أن آذن لك

\* \* \*

حين قت من فراشي نشرت ذراعي عليّ المسك . ثم سألت نفسي أفهذا حلم ؟  
أفأستطيع أن أقيد قدميك بقلبي وأشدها الى صدري ؟

فلا تبرح — يا حبيبي — إلا أن آذن لك



## — ٣٥ —

إنك تداعبني خيفة أن أعرف عليك في سهولة  
فأنت تغطي على عيني بأهتسامات متألقة تواري هي عبراتك  
لقد عرفت . . . عرفت خداعك  
فأنت لا تقول البتة ما تريد

\* \* \*

أنت تفلت مني في أساليب شتى خشية ألا أجازيك  
وأنت تقف على حيد الطريق خشية أن أفقدك وسط هذا الناس  
غير أنني عرفت . . . عرفت خداعك  
فأنت لا تسير البتة على الطريق الذي تريد

\* \* \*

إنك تطلب اليّ أكثر مما ينبغي سواك ، ولذلك فأنت دائماً في صمت  
وفي إهمال لطيف تتجنب هداياي  
غير أنني عرفت . . . عرفت خداعك  
فأنت لا تأخذ البتة ما تريد

## — ٣٦ —

لقد همس في أذني «يا حبيبتى ، ارفعي اليّ عينيك»  
فدفعته عني في شدة وأنا أقول «تتح!» غير أنه لم يعبأ  
ووقف قبالي ، ثم أمسك بيدي ، فقلت «دعني!» غير أنه لم يعبأ  
وقارب بين وجهه وأذني ، فخدجته بنظرة وأنا أقول «يا للعار!» غير أنه لم يرتد  
ولمست شفتاه خدي فانتفضت ثم قلت «لقد أتيت عظيمًا!» غير أنه لم يستشعر الحزي

\* \* \*

ووضع زهرة في شعري ، فقلت «عشًا ما تحاول!» غير أنه وقف ساكنًا  
ثم سلبني قلادة الزهور وانطلق ، فاندفعت أبكي وأسأل قلبي «لماذا لم يرجع؟»

## — ٣٧ —

أفتضعين زهراتك الفضة حول عنقي ، أيتها الحسنة ؟  
لكن لا بد أن تعلم أن هذا العقد الذي ربت هو لكثير ، لأولئك الذين



يبدون من خلال الومضات ، أو للذين يسكنون الأرض المجهولة ، أو لمن يمشون  
في أغاني الشعراء

لقد تصرمّ زمان كنت تستطيع فيه أن تسألني قلبي ثمناً لقلبك  
إن بارقة الأمل كانت حين كانت حياتي كالكمّ يكتم عطره بين ثنايا قلبه  
أما الآن فلقد انتشر هنا وهناك  
من ذا يستظهر الرقية التي تستطيع أن تلم ما انتشر منه وتخبسه مرة أخرى  
ليس قلبي لي فأستطيع أن أحبوه من أشاء ، فقد توزّع كثير

### — ٣٨ —

يا حبيبي ، في ذات مرة ، كان شاعرك يهيم في خياله ملحمة عظمى  
يا أسفاً ، إني لم أكن حريصاً ، فاصطدمت بخلاخيلك الرنانة فاستحالت  
إلى شيء من الأسى

وتحطمت إلى قطع من الأغاني تناثرت عند قدميك  
إن ما أكنز من أقاصيص الحروب الأولى قد تناوحت الأمواج الضاحكة ،  
وعمرت العبرات ، ثم طوته اللجة  
فاجملي ، يا من أحب ، من هدم الحسارة نفعا لي  
وإذا كان أمني في الشهرة الخالدة بعد الموت قد تهدم فاجعلني أبدياً في حياتي  
وإذن لن آسى على خسارتي ولن أعتب عليك

### — ٣٩ —

أنا أحاول ، كل صباح ، أن أنظم إكليلاً من الزهر . غير أن الزهرات  
تثقلت من بين يدي وتسقط

وأنت جالسة هناك ترقبيني في خفاء من خلال زاويتي عينيك المتفرستين  
سلي هاتين العينين وهما تحيكان لي شراً كآ . . . سليهما من الخطيء  
وعبثاً حاولت أن أترنم بأغنية

إن على شفتيك ابتسامة خفية تضطرب ، فسليها عن سبب اخفاقي



ودعي شفتيك الباسمتين تتحدثان : كيف تلاشي صوتي في السكون كما تفعل  
النحلة السكرى في زهرة اللوتس

\* \* \*

لقد أقبل المساء ، وآن للازهار أن تنقبض  
فأذني لي أن أجلس الى جانبك ، وأرسل شفتي تعملان عملهما في السكون  
تحت أضواء النجوم الضئيلة

— ٤٠ —

إن ابتسامة فيها الرية راحت ترفرف على عينيك حين أقبلت أستاذك  
في أن أبرح

لقد فعلت ذلك مراراً ليوقن خيالك بأنني لا ألبث أن أعود

وفي الحق لقد كان في خيالي مثل هذا الشك

إن أيام الربيع تعود حيناً بعد حين ، والبدر يتواري ثم يرجع أخرى ،  
والزهور ترتد على أفنانها فتفت عن ابتسامة سنة إثر سنة ، وهكذا أنا أنطلق لأعود ثانياً

ولكن احفظ الوهم حيناً فلا تدفعه عن نفسك في غير رفق ولا أناة

وحين أقول لك إنني سأهجرك الى الأبد ثق بصدق عزمي ودع العبرات  
تترقق ساعة في محجريك

ثم ايسم كما يحلو لك حين أعود ثانياً

— ٤١ —

إنني أهفو الى أن أتحدث إليك بأعمق الكلمات التي اكتبها في نفسي ، غير  
أنني لا أستطيع ، خشية أن تسخر مني

لهذا فأنا أهزأ من نفسي ، وأسحق سري بين طيات قلبي

ثم استهين بالامي خيفة أن تستهين أنت بها

\* \* \*

إنني أهفو الى ان أتحدث اليك بأصدق الكلمات التي اكتبها في نفسي ، غير أنني  
لا أستطيع ، خشية ألا تصدقها

لهذا فأنا أداريها في حديث مزور ، وأقول غير ما أريد



ثم أسخر من آلامي خيفة أن تسخر أنت منها  
 إني أهفو إلى أن أتحدث إليك بأعلى الكلمات التي اكتبها في نفسي ، غير  
 أنني لا أستطيع ، خشية ألا أجد الجزاء  
 لهذا فانا أغلظ عليك ، وأباهي بقوتي التي لا تتكسر  
 ثم أخزك خيفة ألا تستشعر الألم أبداً  
 أني أهفو إلى أن أجلس إلى جانبك في صمت ، غير أنني لا أستطيع ، خشية  
 أن ينفلت قلبي من بين شفتي  
 لهذا فانا أهذي كثيراً وأثرثر لأطوي قلبي بين كلماتي  
 وأعالج آلامي في قسوة خيفة أن تعالجها أنت  
 إني أهفو إلى أن أناق عنك ، غير أنني لا أستطيع ، خشية أن يبدو لك ضعفي  
 لهذا فانا أصغر خدي وأنطلق إليك في غير اكتراث  
 وطعنات نظراتك الملحة تبعث الحياة دائماً في آلامي

## — ٤٢ —

أيها المجنون ، أيها الثمل العظيم ،  
 إذا دفعت بابك لتنشر حماقتك على أعين الناس  
 وإذا أفرغت جيبك في غسق الظلماء ، وأنت تحقر الرزانة والعقل  
 وإذا انطلقت على طريقك الجميلة تبعث بالأشياء التافهة  
 فلا تعن بالمنطق ولا العقل  
 وإذا نشرت شرارك قبيل العاصفة ، فلقد صدعت السكان إلى شطرين  
 واذن سأتبعك ، يا صاحبي ، ثم أشرب حتى انتشي ، ثم انطلق إلى نهايتي  
 لقد ضيعت عمري في صحبة حيران فيهم الرزانة والعقل  
 إن كثرة العلم شيبت رأسي ، وطول التأمل مسح على ناظري  
 لقد تصرمت سنوات وأنا أجمع شذرات ومقتطفات ثم أكدسها  
 فخطمها جميعاً ، وارقص عليها ، ثم ذر الرياح تنسفها نسفاً



لاني أرى أن غاية الحكمة أن أنتشي ثم انطلق الى نهايتي

\* \* \*

دع كل الوسوس والشكوك تتكسر ، ثم دعني أضل الطريق  
ثم لتأت عاصفة هوجاء فتلفني في أضعافها  
إن الدنيا تعج بالعابرة والعاملين ، وعين يعملون في دقة ومهارة  
وهناك ناس برزوا في سهولة ، وآخرون تقصصوهم في رفق  
فليكونوا هم في سمادة ورخاء ، أما أنا فدعني أعيش عبثاً  
غير أنني أرى أن غاية كل رغبة أن أنتشي ، ثم انطلق الى نهايتي

\* \* \*

لاني أقسم أن أزل الآن عن كل أمنية تدفعني إلى سماء النفوق  
وأن أفد بكمرياء العلم والمنطق  
وأن أسحق ذا كرتي ، وأذرف آخر قطرة من عبراتي  
وان أغسل ضحكاتي بزبد الحمر لنبدو نقية لا معة  
وان أمزق شعار الأدب والعقل دفعة واحدة  
وان أنظر الى العهد المقدس كأنه شيء نافه ، ثم انتشي وانطلق الى نهايتي

— ٤٣ —

لا ، يا صاحبي ، لن أكون ناسكاً وإن جهدت  
لن أكون ناسكاً إلا أن تنذر هي نفسها معي  
لقد عزمت على ان لا أكون ناسكاً إلا أن أجد المأوى الظليل ، والصديق  
الذي يقاسمني آلامي

\* \* \*

لا ، يا صاحبي ، لن أهر داري ووطني الى عزلة في الغابة الخاوية ، إلا أن  
يرن صدى الضحكات المرححة في جنبات الظلال ، وإلا أن تتناوح الرياح ذيل  
مرط مزعفر ، وإلا أن تسري النسائم الرفيعة في أعماق صمتها  
لن أكون ناسكاً



## — ٤٤ —

أيها القديس المحترم ، اغفر لهذين الآثمين . إن رياح الربيع تهب اليوم زفرافة  
تذرو الغبار وأوراق الأشجار الداوية ، فتتناثر معها دروسك  
لا تقل ، يا سيدي ، إن الحياة عبث  
لأننا هادنا الموت مرة ، وفي ساعة من زمان كنا معاً في الخالدين

\* \* \*

وإذا انحط علينا جيش الملك في غلظة ، فسنهز رؤوسنا في أسي ونقول : —  
يارفاق ، لقد ازعجتمونا . وإذا كان لامعدل عن هذه الضجة فاذهبوا عنا ، ولتكن  
قعقة سلاحكم في مكان آخر ، لأننا كنا — منذ فترة — في الخالدين  
وإذا أقبل الصحاب يتزامرون حولنا فسنحني لهم رؤوسنا في أدب ونقول :  
إن هذا الاسراف في حسن التقدير يغيظنا . ليس في السماء اللانهاية ، حيث نعيش  
سعة . لأن أزهار الربيع تفتح في كثرة ، وأجنحة النحل النشيطة تدافع في غلظة  
إن سماءنا الصغيرة ، التي تضمنا نحن الاثنين الخالدين ، لا تتسع لغيرنا

## — ٤٥ —

سل الله أن يمهّد السبيل للضيوف الذين ينزحون ثم يعفّى على آثارهم  
وضم الى صدرك في ابتسامة كل سهل وبسيط وقريب  
إن اليوم عيد الأطباء التي لا ندري متى تموت  
فاجعل في ضحكائك سمات السرور الفارغ ، كما تبدو لمعات الضوء على أمواج البحر  
ودع حياتك ترقص في خفة على حافة الزمان كأنها قطرة الندى على حافة  
ورقة الشجرة

ووقع على أوتار قيثارك ألحاناً مقطعة

## — ٤٦ —

لقد خلقتني وحيداً وانطلقت على سننك  
إني لأخالي سا سي عليك ، فسأضع رسمك وحده في قلبي موشى بلعن ذهبي  
ولكن ، آه ، يا لسوء الطالع ، إن العمر قصير



ان الشباب يتصرم سنة فسنة ، وان أيام الربيع تطير ، والزهور الواهية  
تدوى في غير سبب ، والفيلسوف يندرنى بأن الحياة قطرة ندى على ورقة زهرة اللوتس  
أفأغضي عن كل ذلك لأنطلق في إر فناة تطوي عني ؟  
هذا عبث وحمق ، لأن العمر قصير

والآن تعالي، أيتها الليالي الممطرة ، في خطوات مضطربة ، وابسمي يا أيام  
الحريف الذهبية ، و تعال يا ابريل العاقل ، وانثر قبلاتك حوالينا  
ف تعال أنت ، وأنت ، وأنت أيضاً !

يا احبابي ، أنتم تعلمون أننا ميتون ، أف يكون من الحكمة أن يتصدع قلب  
في سبيل فناة تطوي عنه قلبها ؟ على حين ان العمر قصير

إنه لجميل أن أتروي في ناحية أتأمل وأكتب في أشعاري . إنك أنت دنياء  
إن من البطولة أن يحمل المرء أحزانه ثم لا يقبل عزاء  
غير أن وجهاً جميلاً ينظر الي من خلال فرجات الباب ، ويحدق في عيني  
فأنا لا أستطيع إلا أن أمسح عني العبرات ، وإلا أن أغير نعم لحي  
لأن العمر قصير

#### — ٤٧ —

إذا كنت ستفسرينها هكذا ، فسأمسك عن الغناء  
وإذا كانت تنفت في قلبك الاضطراب ، فسأحول نظراتي عن وجهك  
وإذا كانت تبعث الرجفة في خطواتك على حين فجأة ، فسألتفت جانباً واتخذ  
طريقاً آخر

وإذا كانت تبعث فيك الارتباك وانت ترتبين زهورك ، فسألتجنب صديقك المنعزلة  
وإذا كان يهيج الماء في شدة ، فلن أدفع زورقي إلى شاطئك

#### — ٤٨ —

دعيني أتخلل من قيود جمالك ، يا من أحب ! ولا تسكريني بخمرة قبلك  
إن هذا الدخان الذي ينبعث من البخور النفاذ يخلق قلبي  
افتحي الباب لينفذ ضوء النهار



لقد ضللتُ فيك حين لففتني في ثنايا ظرفك  
ففككتني من سحرِكَ ، وردى اليَّ حريقي لأقدم لكِ قلبي الطليق

— ٤٩ —

لقد أمسكت بيديها ووضعتها على صدري  
وحاولت أن أملأ ذراعيَّ من جمالها ، وأن أنهب بساطها الحلوة بقبلائي ، وأن  
أشفي هيمان عينيَّ من نظراتها العميقة  
آه ، ولكن أين هي ؟ من ذا يستطيع أن يجذب زرقة السماء ؟  
لقد أردتُ أن أضمَّ الجمال ، فأفلت مني ، ليذر بين يديَّ الجسم وحده  
فرجعت أستشعر خيبة الأمل والضنا معاً  
كيف ينبغي للجسم أن يمس زهرة لا ينبغي لغير الروح أن تمسها ؟

— ٥٠ —

يا من أحب ، إن قلبي يحنّ ، ليل نهار ، الى لقاءك ... اللقاء التي يترأى الموت  
الأحر في جنباتها  
طوّحي بي في منأى كما يفعل الاعصار ، وخذي كل ما أملك ، وحطمي فيَّ  
لذة الرقاد وهدوء الأحلام . ثم استلييني من دنيائي  
في تلك الوحشة ، في تجرد الروح ، دعينا نتحد معاً في بهجة  
وا أسفاً لهذه الأمنية الضائعة ! أين هذا الأمل في الاتحاد الروحي إلا فيك  
أنت ، يا إلهي ؟

— ٥١ —

إذن أتمني الأغنية الأخيرة لتبرح  
وأنت هي هذه الأمسية حين ينطوي الليل  
من ذا الذي أحاول أن أضمه بين ذراعي ؟ إن الأحلام لا تضم أبداً  
إن يديَّ الملتصقتين تجذبان الى قلبي فراغاً فترضان صدري

— ٥٢ —

لماذا خبا المصباح ؟  
لقد كنت أسدل عليه عباوتي خشية ان تعبت به الرياح ، لهذا خبا المصباح



لماذا ذبلت الزهرة ؟

لقد كنت أضمرها الى صدري في لفة الحب ، لهذا ذبلت الزهرة  
\* \* \*

لماذا جف الغدير ؟

لقد كنت أعترض مجراه بالسدود ليكون لي وحدي ، لهذا جف الغدير  
\* \* \*

لماذا انقذ وتر القيثارة ؟

لقد كنت أحاول أن أوقع عليه لحناً لا يحتمله ، لهذا انقذ وتر القيثارة

— ٥٣ —

لماذا تبعثن في الحجل بنظرة ؟

إني لم أدلف كالشجاذ

غير أنني وقفت ساعة في طرف الفناء خلف أسوار الحديقة

فلماذا تبعثن في الحجل بنظرة ؟

\* \* \*

أنا لم أقطف زهرة واحدة من حديقةك ، ولا النقطت فاكهة

غير أنني آويت في خشوع أتفياً للظلال على حيد الطريق حيث يقف أي عابر سبيل

ولم أقطف زهرة واحدة

\* \* \*

نعم ، لقد كانت قدماي تحسان الأعياء ، وقد أخذ المطر ينهمر

وقد ابتدأت الرياح تجلجل بين أغصان الخيزران المضطربة

وتدافعت السحب في عرض السماء كأنها تفزع من الهزيمة

وكانت قدماي تحسان الأعياء

لست أدري ماذا كان يدور بخلدك عني ، أو من ذا الذي كنت تنتظرين  
\* \* \*

واقفة لدى الباب

إن ومضات البرق كانت تتألق في نظراتك المترتبة

أنسى لي أن أعرف أنك استطعت أن تتوضعي وأنا واقف في الغلس ؟

لست أدري ماذا كان يدور بخلدك عني

\* \* \*

لقد انطوى النهار وهدأت الأمطار هوناً ما



وتركتُ أنا ظلال الشجرة التي في طرف حديقتك، ونبذت الجلسة على الحشائش  
لقد سجا الليل ، فأغلق الباب ، وسأُطلق أنا الى غايقي  
فالنهار قد انطوى

## — ٥٤ —

إلى أين توفض في سيرك وفي يدك سلة على حين راح النهار يحضر وقد  
صَفير السوق؟

لقد عاد كل الى داره يحمل وقره، وقد أخذ القمر بشخص من أعالي شجر القرية  
إن صدى الأصوات التي تنادي المعبر يسري عبر الماء المعتم الى المستنقع البعيد  
حيث البط البري ينام

الى أين توفض في سيرك وفي يدك سلة ، على حين قد صَفير السوق ؟

\* \* \*

لقد لمس النور أعين الأرض بأطراف بنائه  
فصمتت أعشاش الغربان ، وهذا حفيف أوراق الخيزران  
والعمال الذين يسكنون في منأى عن حقولهم ، فرشوا حصيرهم في الفناء  
قالى أين توفض في سيرك وفي يدك سلة ، على حين قد صَفير السوق ؟

## — ٥٥ —

لقد كنا في الظهيرة حين مررت  
وكانت الشمس تنهب في كبد السماء  
وكنت أنا قد أُنجزت عملي وجلست وحدي في طنفي حين مررت

\* \* \*

هذه النسبات الهينة تهب فتثير روح الحقول النائية  
والورق تحت الظلال تسجع في غير ملل، وهنا نحلة تطن في ارجاء حجرتي  
تشدو أخبار الحقول النائية

لقد نامت القرية في أوار الهاجرة . لتذر الطريق خالياً  
وبين الفينة والفينة تأخذ أوراق الشجر نوبات من الحفيف : نحيما وتموت  
ورحت أنا اسف النظر الى السماء وأرسم في زرقته جروف اسم أعرفه أنا ،  
على حين كانت القرية تنام في أوار الهاجرة



لقد نسيتُ أن أصف شعري فأخذت النسبات الهينة تداعبُ على صفحات وجهي  
والنهر ينساب في هدوء تحت ظلال الشاطئ  
والسحب البيض المتراخية لا تبرح مكانها  
أما أنا فقد نسيتُ أن أصف شعري  
\* \* \*

لقد كنا في الظهيرة حين مررت  
وكان ترى الطريق ينفخ لظى ، والحقول يبدو عليها البُهر  
والورق تسجع بين لفائف الأوراق  
وكنت وحدي في طنفي حين مررت

## — ٥٦ —

لقد كنتُ واحدة من نساء كثيرات أشغلهم عمل اليوم البغيض في تدبير المنزل  
فلماذا أفردتني من بينهم وجذبني من مأوى صامت كنت أعيش فيه في ركود  
إن الهوى الصامت مقدس فهو يشع إشعاع الجوهر في ظلمات القلب ، وهو  
يتراءى قائماً في ضوء النهار اللامع  
آه لقد نفذت خلال شفاف قلبي ، وبذرت غراس حي المضطرب في فراغه ،  
فحطمت — إلى الأبد — ركنه الظليل حيث يوارى عشه  
\* \* \*

إن النساء غيرك عندي سواء  
فأفهم من تغلقت إلى خلقها العظيم ، فمن جميعاً لا يدرك سرهن  
إنهن يسمن ويبيكن ويثرن ويعملن في رقة ، وهن كل يوم يذهبن إلى  
المقابر ويشعلن المصابيح ويملأن الجرار من النهر  
إنني أطمع في أن أنقذ قلبي من العار القاصم . . . عار أن لا يجد مأوى ، غير  
أن وجهك ما برح يزوي عني  
نعم ، ها هو الطريق منفسح أمامك ولكنك أنتِ قطعت علي الطريق ،  
وخلفت خطامي حاسراً أمام هذا الناس ليحدثوا فيه — ليل نهار — في غير خجل





# الحرب الخاطفة

« بلتسكريج : Blitzkrieg »

## مبادئ ومصالح

موقف الولايات المتحدة في الشرق الاقصى

ليون تروتسكي

شريك لينين ومنشئ الجيش الاحمر



# الحرب الخاطفة

« بلتسكريبج : Blitzkrieg »

كان الرأي الغالب من سنة او اكثر قليلاً في كثير من الدوائر الحربية ان اسلحة المدافعين فتك بالمهاجمين فتسكاً ذريعاً فيجب التزام الدفاع في الحرب. ولكن اصحاب هذا الرأي قد صمتوا الآن، والعالم واقفٌ دهشاً امام نتائج «الحرب الخاطفة» كأنها شيء جديد في تاريخ الانسان ليست فكرة «الحرب الخاطفة» بالجديدة. وقديماً وصف الترك احد سلاطينهم بايزيد الاول بالصاعقة «يلدريم» لسرعته في مهاجمة العدو واخذه مفاجأة. وانما الجديد هو الأسلوب الذي اتبع في استعمال المحترعات الميكانيكية الحديثة وتنظيمها في شن حرب خاطفة على العدو. وجل هذه المحترعات وليد محرك الاحتراق الداخلي فهو القلب النابض الدافع للطائرات والدبابات والسيارات المصفحة وغير المصفحة. ولكن القواعد الأساسية في حرب من هذا القبيل ما فتئت على ما كانت عليه في القدم: خطة مدبّرة محكمة التديبير يختار اصحابها الأرض التي توافق اسلوبهم في القتال ولم جيش يستطيع ان يضرب ضربة مدوخة فيخترق كل نطاق من الحصون وخطوط الدفاع و«الحرب الخاطفة» مزيج من عناصر اساسية لا بد منها. اولاً — التأهب الوافي الدقيق. وثانياً — معرفة الهدف الذي تتوخاه. وثالثاً — معرفة دقيقة لقوة العدو واسلحه الكمة ووادر وطريق وهر وجسر في الأرض التي تختار ميداناً للقتال. وعلاوة على ذلك يجب ان نعرف أساليب العدو في تموين جيشه بالزاد والماء وجميع المعدات التي لا غنى عنها في القتال حتى يتاح للمهاجم ان قطع أسباب التموين عنه بضرب خطوط المواصلات اللازمة له. وهذه المعرفة نستخرج من دراسة الخارطات الكبيرة دراسة مدققة، والرحلة في البلاد يقوم بها رجال بحوسون خلالها بعين الجبر النفاذة، والبحث الدقيق في موارد العدو ومصادره. ولا يتم التأهب للحرب الخاطفة الا بعد ما تتوافر لدى القيادة العليا جميع هذه الحقائق والتفاصيل. لأنها التهديد الذي لا بد منه لشل قدرة العدو على المقاومة المنظمة

وبلي ذلك صنع خارطات كبيرة بارزة يكب عليها ضباط أركان الحرب، يبحثون كل ناحية من النواحي التي يحتمل أن يعتمد اليها العدو في المقاومة. ثم تجري مناورات في بلاد الجيش الذي ينوي الهجوم، فتمثل فيها جميع أنواع العقبات الطبيعية والصناعية التي قد يلاقيها هذا الجيش في هجومه. وهذه المناورات لا بد منها لتدريب فرق الدبابات وأسرار الطائرات وكتائب المدفعية وفصائل المشاة على العمل معاً وحدة موثقة العرى منسقة الأجزاء فتعلم كل فرد على قدر الطاقة أن مكانه وما يطلب منه وما هدفه. ويجب أن تجري في أرض شبيهة بالأرض التي ينتظر أن يقع فيها الهجوم



وعلاوة على ذلك يجب أن يتعلم الجنود والضباط الذين عليهم الموعول لغة العدو الى حد ما على الأقل وإذا كان القصد إعداد حملة على بلاد وراء البحار فيجب على رجال الحملة أن يتدربوا تدريباً دقيقاً على شحن السفن وإفراغها وركوب النقلات والنزول منها ويجب أن تنظم كل سفينة بحيث تكون وحدة كاملة من الجند والعتاد إذ لا فائدة من شحن سفن بالرجال وأخرى بالعتاد فيصل الرجال في سفنهم وقد تصاب سفن العتاد وهي في الطريق بما يحول دون وصولها فيغدو الرجال عزلاً وما يصدق على المشاة يصدق على رجال الهاباطات وغيرهم ممن يتقل بطائرات النقل . كل أولئك يجب أن ينظم تنظيماً دقيقاً لا يدع مجالاً للخطأ

وبعد أن يتم التأهب الدقيق في جميع الوجوه ، تنطلق « الحرب الخاطفة » من عقابها كالأعصار المحتاج . فيحفل كل طريق مفض إلى بلاد العدو بالدبابات تتقدمها السيارات المصفحة . وتتبعها المشاة منقولة بالسيارات . وتحوم فوقها وتسبقها قليلاً القاذفات والمنقضات Dive-bombers فتعطر مطارات العدو وعقد مواصلاته الحيوية ومصانهه بقنابل الموت . فإذا دافعت صفوف العدو دون المركبات النارية انقضت عليها من ارتفاع يسير هذه الطائرات فتقذف قنابلها وتطلق رشاشاتها ومدافعها الخفيفة على كل نقطة ثبت فيها الدفاع قليلاً

فإذا كانت شبكة الطرق التي تسلكها القوات الميكانيكية تتجاوز نهراً فيجب أن تتقدم الطائرات المنفضة الى الهجوم على الحماة بقنابلها وفي الوقت نفسه او بعد ذلك بقليل تقبل طائرات النقل فتخرج منها جنود الهاباطات فلا تكاد تصل الى الأرض حتى تتجه الى النقط الرئيسية كرؤوس الجسور او الدور التي تولد فيها الطاقة الكهربائية او الحجرية التي يسيطر منها العدو على سد من السدود فتحتملها . فإذا لقيت مقاومة عنيفة وجب عليها ان تمضي في الكفاح حتى تصل الدبابات . ويعين المهاجم في هذا العمل اعضاء « الطابور الخامس » بالاستيلاء على المراكز التلقونية الرئيسية وبنشر الاخبار الكاذبة التي تفت في العصد وتقل من العزم ، وبإذاعة اوامر متناقضة ، وتدمير خزانات الماء وطريق توزيعه ومصانع توليد الطاقة الكهربائية واحتلال محطات الاذاعة ومكاتب سكك الحديد أو تدميرها

ولما كان من مقتضيات الحرب الخاطفة ان يكون المهاجم عارفاً معرفة مفصلة بأرض العدو ففي وسعه ان يوجه طائرات النقل وهي تقل جنود الهاباطات الى نقط معينة فتتولى هذه الجنود عند هبوطها الى الأرض مساعدة رجال « الطابور الخامس » بالاستيلاء على مواقع حيوية . ويصحب ذلك قذف القنابل على المدائن والقرى فينفر الناس الى الشوارع والطرق طالين الفرار الى مكان آمن فتعص بهم الطرق فيتعذر انجاد الصفوف المتقدمة من المدافعين وتموينها ، وبضطر المدافع الى تأجيل نسف الجسور (الكباري) والاتفاق التي لا بد من نسفها لتأخير المهاجمين ، لأنه يرى ان نسفها يعرض الوفاً من اللاحقين لأخطار جسيمة



فإذا انصرف العدو عن الشعور الانساني الى الضرورات الحربية وفعلاً تَسَفَّ الجسور والأنفاق فإن ذلك طبعاً يؤخر تقدم القوات الميكانيكية السريعة . ولكن يجب ان نذكر ان «الحرب الخاطفة» سائرة وفقاً لخطة معدة إعداداً محكماً في ميدان واسع وللقوات زاحفة على طرق متعددة فتأخير فصيلة أو فرقة من فصائلها أو فرقة لا يؤخر الفصائل والفرق الأخرى السالكة طرقاً أخرى سواء كان ذلك التأخير بسبب مقاومة العدو او عقبات أخرى تعترض الزحف . ذلك بأن الزحف العام أشبه ما يكون بالمد المرتفع بصطدم بصخرة تعترض سبيله فتسيل المياه على الجانبين وتلتقي وراء الصخر ويمضي في اندفاعها تاركة الصخرة كأنها جزيرة صغيرة وسط تيار صخّاب . وهنا تتاح الفرصة للانتفاع بالطائرة المستكشفة فإنها دائماً التحليق فوق الصفوف الزاحفة فتكشف ان العدو صمد لفصيلة في نقطة معينة فتعود بالجبر الى مقر القيادة فتوجه الطائرات المنقضّة الى هذه النقطة — وهي كالجزائر المنعزلة في خضم ثائر — فتقتض عليها محاولة كسر مقاومتها بهجومها العنيف . وتوجه كذلك فصائل المهندسين الى حيث تسف جسر ما لاصلاح ما دمر او لانشاء جسر من الاطواف لعبور النهر . وقد تستعمل زوارق من المطاط تطوى عند ما لا يكون ثمة حاجة اليها فاذا بدت الحاجة اليها نفخت باجهزة خاصة واستعملت لنقل فصائل الجنود واسلحتهم الخفيفة . وهذه الزوارق يسهل نقلها الى حيث يجب استعمالها إما بسيارات النقل واما بطائرات النقل

فالسُرّ في المرحلة الاولى من مراحل الحرب الخاطفة هو «المفاجأة» . فالمفاجأة تجرّ في اثرها الاضطراب والتردد وتبعث الفوضى . ولذلك يجب ان تكون الدولة المهاجمة أملك لعنان الجوّ من الدولة المهاجمة . ولا تقدم قيادة عليا على حرب خاطفة إلا اذا كانت واثقة بان سيادة الجوّ لها . فأقوى الاجسام يفقد كل حول وطول اذا اصبحت عقده العصبية فتضطرب الصلة بين الجهاز العصبي المركزي والاعضاء . والحرب الخاطفة غرضها ان تحدث هذا التأثير في الجسم السياسي الى متى يستطيع جيش مهاجم ان يمضي في هجومه الخاطف هذا ؟ ان ذلك رهن قدرته على الفوز بما يلزم لرجاله وأجهزته من طعام ووقود وذخيرة . فالفصائل الميكانيكية التي تستطيع ان تقطع مائتي ميل في اليوم اذا لم تلق عقبات ما في طريقها ، تحمل عادةً من الزاد والوقود ما يكفي حاجة يومين . والغالب انه اذا استطاعت فصيلة من هذا القبيل ان تحترق خطوط الدفاع الاولى فان تقدمها بعد ذلك يمضي متسارعاً لانهباء المقاومة وتفتي الاضطراب . ولما كان من قواعد هذا النوع من الهجوم معرفة ارض العدو معرفة دقيقة فمن المحتمل ان تتمكن قيادة هذه الفصيلة ان تستولي على الزاد والوقود بمصادرتهم من المناطق التي تجتازها . فاذا كان ذلك متعذراً لسبب ما فعليها ان تنفق مع القيادة العليا على تسيير قوافل من السيارات في اثرها لنقل ما تحتاج اليه من زاد ووقود وقنابل وغيرها . وبهذه الطريقة كذلك قد يحل محل طلائع الفصيلة المتوغلة في ارض



العدو، رجال لم ينهكهم التعب ودبابات وسيارات لم يوهنها السير

ولكن فصيلة من هذا القبيل قد تتعرض لهجوم طائرات ترتفع من مطارات لم تدمر في مستهل القتال. ولذلك يجب ان تتقدم هذه الفصيلة اسراب من الطائرات المضادة لحماية الوحدات الميكانيكية المتقدمة والسيارات التي تتبعها ناقلة المشاة، من قاذفات العدو، ولتحمي القاذفات من مطاراته. ويصحب المطاردات في الجو سيارات على الأرض تقل المدافع المضادة للطائرات لتتعاون المطاردات والمدافع على رد قاذفات العدو على أعقابها واسقاط ما يتيسر اسقاطه منها. ثم لا بد من نصب المدافع المضادة للطائرات فوق الكباري والقنوات والأنفاق التي انترعت من العدو لحمايتها من قاذفاته هذه صورة تبهث اهللح في النفوس، ولكن قلما اخترع الانسان سلاحاً ولم يخترع سلاحاً آخر بقي منه. فسر الدفاع ضد لون شيطاني من الحرب كالحرب الحاطفة هو أولاً النظام القائم على التدريب. فهو يمكن الناس من التماسك في الأوقات العصيبة. ويضاف الى ذلك تنظيم الأعمال الحربية والأهلية تنظيمًا يمنع الفوضى. فالمطارات يجب ان يوضع فيها كتل كبيرة من الأبرق المسلح حتى تعيق نزول طائرات الأعداء ودروجها في أرضها. ولكن يجب ان تكون قابلة للتثقل حتى لا تعيق حركة الطائرات المدافعة. ويجب ان يتدرب رجال المطارات تدريباً عملياً وافيًا على تنقيطها بنظام وسرعة. وكذلك يجب أن تنشأ في المطارات خنادق تغطيها ألواح ترفع وتخفض فترفع اذا لاح ان سرباً من طائرات العدو يحاول النزول في المطار وليس في الوسع ردة، فلا تدرج طائراته على الأرض حتى تعترضها الخنادق فتسقط فيها العجلات المتقدمة وتنقلب الطائرات فتتطم او تحترق. وجميع الطرق الرئيسية يجب كذلك ان تعين لها فرق خاصة لحمايتها. والكباري يجب ان تلغم ويعد بحراستها الى من لا يتأخر ثانية في نسفها متى لزم الأمر. ومصانع تكرير المياه وتوليد الطاقة الكهربائية للاضاءة وتحريك الآلات ومباني التلغونات والتلغرافات الرئيسية ومحطات الاذاعة وصهاريج البترول والمصانع — جميع هذه المنشآت يجب ان تصان بنظام دقيق من فعل «الحونة» الذين لا يتأخرون عن تدميرها أما صفوف الجيش المتقدمة التي تتولى الدفاع عن الحدود فيجب ان يكون قوامها رجالاً مدربين بحرين ويجب ان يكونوا مجهزين بالمدافع المضادة للطائرات واخرى مضادة للدبابات وان يكون غرضهم من استعمال هذه المدافع إبطاء سرعة الزحف من ناحية العدو. ووراء هذه الصفوف يجب ان تقوم كتلة من الجيوش المدربة في منطقة يستطيع اتخاذها قاعدة للكر Counter attack على العدو ويجب ان يكون في الوسع توجيه هذه القوى او جزء منها توجيهها سريعاً الى النقطة التي يبدو فيها ضعف العدو او التي يصلح فيها الكر عليه. ويجب ان يكون هذا الجيش محميًا بمدافع مضادة للطائرات واخرى مضادة للدبابات، ويجب ان تكون طلائع من الوحدات الميكانيكية التي تستطيع ان تدفع بقوة وسرعة في المنطقة التي يراد الكر فيها فتحدث الثغرة الصالحة للكر ثم تدمر خطوط المواصلات والتموين التي وراء طلائع العدو



ومن العيب ان تسعى دولة الى بناء أسوار من الحجارة او الأبرق المسلح او الصلاب لتقي نفسها من حرب خاطفة ، لأن الاعتماد على هذا النوع من التحصين يعني ان الدولة المدافعة تستطيع ان تجعل كل نقطة من نقط حدودها قوية يعجز العدو عن اختراقها . وهذا متعذر على حدود طويلة . وطريقة العدو هي امتحان الدفاع هنا وهناك حتى اذا بدت نقطة ضعيفة فيه وجه معظم جهده اليها فيخترقها وينشر وراءها فتضطر القوات المدافعة عن جانبيها الى الارتداد بغير ان تحرق حصونها وإلا فانها تتعرض للأسر بحركة التفاف . ويجب ان يكون السلاح الجوي للدولة المهاجمة متأهباً للعمل ، لمرقلة اعمال الحيوش الزاحفة بسرعة ومصادمة قاذفاتهِ وجمع الأخبار عن حركة فصائله ، وهذا العمل يجب ان ينسق تنسيقاً تاماً مع الجيش على الأرض او الأسطول في البحر . فالسلاح الجوي اذا قام بعمله منفصلاً عما تنويه وتعززه قيادة الجيش او قيادة الأسطول عديم الجدوى لأنه يكون في هذه الحالة كبطرية من المدافع لا تؤيدها قوة من الجيش . ولكن عندما ينسق عمله مع الأسلحة الأخرى يصبح سلاحاً فعالاً ولا يستغنى عنه في الحرب الحديثة ويجب ان يضاف الى كل هذا نظام واسع النطاق يشمل جميع وسائل المحاطبات الحديثة والانصالات الكهربائية لا نذار وحدات الجيش والأهالي باقتراب العدو ويجب ان تنشأ هيئات محلية من الأهالي لاصطياد جنود الهاباطات عند نزولها الى الأرض او قبل وصولها الى الأرض فأسلوب جنود الهاباطات غرضه إزعال جنود مسلحين وراء خطوط القتال للاستيلاء على مواقع يقضي الاستيلاء عليها الى نشر الاضطراب والفوضى داخل البلاد وهم ينزلون الى الأرض متفرقين في منطقة واسعة ويجب ان يلمحوا شعنهم ليعملوا معاً كما يجب عليهم ان يجمعوا ما قد يسقط من الطائرات بهاباطات كذلك من المدافع الرشاشة والذخيرة ، فخطرهم فرادى ليس كبيراً ولكن إذا اجتمعوا فصائل عظم خطرهم . فاليقظة الدائمة لازمة لاصطيادهم قبل إجماعهم . ومن الهيئات الأهلية ما يجب أن يمهّد اليه بتدمير طرق المواصلات كحفر الحفر والخنادق فيها لأن الغرض هو تأخير سرعة الزحف الميكانيكي . وهذا العمل أشبه ما يكون باستعمال « الفرملة » لحفض سرعة سيارة أو قطار . فكل عمل من شأنه تأخير زخم الحملة الميكانيكية يهيء الأسباب لكر ناجح عليها . وهذه الأعمال تحتاج إلى تدريب ، ويجب أن تكون وفقاً لحطة موضوعة ونظام دقيق إن السر في نجاح الحرب الحاطفة كامن في قدرة الجيش المهاجم على استقلال الهجوم الأول الذي تنولاه الفرق الميكانيكية . أي أن تسير كتلة الجيش في أثر الفرق الميكانيكية فتسرخ أقدامها في المناطق التي اخترقتها وترد العدو عنها وتفتح الطريق لاتصال منتظم بين الطلائع والقواعد فينظم وصول الزاد والوقود والذخيرة والنجادات . فاذا استطاعت القوات المهاجمة ان تفيق من الضربة المفاجئة التي تصاب بها أولاً فعندئذ ينتقل لواء ادارة الاعمال الحربية من المهاجم الى المدافع ، أي أن الكر يصبح مستطاعاً



# مبادئ ومصالح

موقف الولايات المتحدة في الشرق الأقصى<sup>(١)</sup>

يستند موقف حكومة الولايات المتحدة الاميركية من شؤون الشرق الأقصى الى طائفة من المبادئ اذاعها أقطابها وأعادوها ولم ينوا عن التصريح بتسليمهم بها وعدم حيادهم عنها . أما المبدأ الاول فهو مبدأ « الباب المفتوح » اذاعه وزير خارجيتها المستر جون هاي في سنة ١٨٩٩ وبسط تعريف له هو النص على مساواة الدول جميعاً فيما يتاح لراياها من فرص للتجارة في الصين والمبدأ الثاني يشتمل على ثلاث قواعد تضمنتها معاهدات وشنطن التي عقدت في مؤتمر شنطن البحري سنة ١٩٢١ — ١٩٢٢ . ففي المعاهدة البحرية عينت نسبة القوة البحرية للدول البحرية الكبرى وهي بريطانيا والولايات المتحدة واليابان اذ جعلت هذه النسبة ٥ لبريطانيا و٣ للولايات المتحدة و٣ لليابان . وهذه النسبة تشمل البوارج . وقد طبقت بتعديل يسير على الطرادات في سنة ١٩٣٠ . وفي معاهدة الدول الأربع تعهدت الولايات المتحدة الاميركية وسائر الدول التي وقعتها ومنها اليابان وبريطانيا بالامتناع عن تحصين قواعدها البحرية في غرب المحيط الهادئ اي في نصفه القريب من سواحل آسيا . وفي معاهدة الدول التسع تعهدت اليابان مع الدول الأخرى التي وقعتها باحترام وحدة الصين وسلامتها واستقلالها

والمبدأ الثالث هو مبدأ عدم الاعتراف الذي اذاعه المستر هنري ستيمسون سنة ١٩٣١ على أثر اعتداء اليابان على منشوريا وإنشائها امبراطورية منشوكو صنعيتها على البر الاسيوي . كان المستر ستيمسون وزير الخارجية حينئذ في حكومة اميركية جمهورية ( رأسه المستر هربرت هوفر ) ، وهو الآن وزير الحربية في حكومة اميركية ديمقراطية مع انه جمهوري . وملخص هذا المبدأ ان الحكومة الاميركية تمنع امتناعاً باتساً عن الاعتراف « بأية حالة او معاهدة او اتفاق يخالف عن طريق منافض لميثاق تحريم الحرب المعروف بميثاق « كلوج بريان » أي أنها تمنع عن الاعتراف بكل تغيير في أوضاع الشرق الأقصى يتم بالقوة

« الباب المفتوح » — « سلامة الصين ووحدتها » — « مبدأ عدم الاعتراف » —

هذه هي القواعد الثلاث التي يستند اليها موقف الحكومة الأميركية في الشرق الأقصى وليس ثمة ريب في ان تطور الحوادث في الشرق الأقصى في السنوات الاخيرة ، نقض جميع هذه المبادئ من أساسها . فسياسة « الباب المفتوح » في الصين غدت اسماً لغير مسمى على

(١) ملخص حديث لرئيس تحرير المقتطف أذيع من محطة الاذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية بعيد اذاعة بناء المعاهدة الثلاثية بين ألمانيا وإيطاليا واليابان



الرغم من البيانات الرسمية التي تذيبها الحكومة اليابانية في الفينة بعد الفينة . التجارة ممنوعة في منشوكو إلا للدول التي تعترف بها . واستعمال الأنهار الصينية والثغور الصينية خاضع للأوامر العسكرية وشقي القيود المالية . أما وحدة الصين وسلامتها واستقلالها فقد أصبحت أثراً بعد عين على الرغم من ان اليابان لم تعلن حرباً على الصين . فنشوريا وجيهول انتزعتا منها بالقوة في سنة ١٩٣١ وحوّلتا دولة مستقلة اسمياً خاضعة لليابان فعلاً . والولايات الخمس الشمالية التي تليها انتزعت في سنة ١٩٣٧ وأوائل ١٩٣٨ وأنشئت فيها حكومة تريدها اليابان ممثلة للشعب الصيني قاطبة وتأتي كثرة الشعب ان تعترف بها . والقوة الحربية اليابانية مسئولية على الثغور والجمارك والسكك الحديد والأنهار في شطر كبير من الصين . وقد تم كل ذلك بوسائل وأساليب مناقضة لميثاق تحريم الحرب . علاوة على ذلك ان اليابان أعلنت شريكيتها في المعاهدات البحرية بأنها غدت غير مقيدة بنصوصها . ومضت في انشاء أسطول بحري أحاطت أنباءه بحجاب كثيف من الحفاء والكتمان كما أحاطت دور الصنعة البحرية التي تبنى فيها السفن الجديدة بمجدران عالية حتى لا تتناول العيون الى داخلها

فعلت ذلك باسم مبدأ جديد أطلقت عليه «النظام الجديد في شرق آسيا» وأحاطته بتصريح وصف بأنه «تصريح مونرو الياباني» . إلا ان تصريح مونرو الأميركي تصريح سلمي غرضه الجلولة دون تدخل أوربا في شؤون القارتين الأمريكيتين ولكنه لا يحتم ولا ينظر الى سيطرة الولايات المتحدة عليها . حالة ان «تصريح مونرو الياباني» تصريح إيجابي . فهو لا يرمي فقط الى إبعاد كل نفوذ أجنبي عن شرق آسيا بل يرمي كذلك الى تحويل شرق آسيا وجزائر البحار الجنوبية ككتلة كبيرة خاضعة لليابان . فبدأ الباب المفتوح أصيل في الاول ومبدأ «الباب المغلق» او «الباب الموصد» أصيل في الثاني . اليابان تنظر الى السيطرة بفعل قوتها الحربية المتفوقة على رقعة كبيرة من سطح الكرة الأرضية . والولايات المتحدة تنظر الى تعاون حرّ وتبادل غير مقيد بين الدول الكبيرة والصغيرة على السواء في رقعة من سطح الارض او على سطح الارض كله . وهذه الفروق بين النظرتين تمس أصول الاجتماع الدولي ، فاذا ذهبت اليابان الى أقصى النتائج المنطقية لنظرتها ، ويلوح أنها ذاهبة مهما يتعرج الطريق وبلتوي، فليس ثمة أمل في التفاهم والاتفاق بين الدولتين الكبيرتين اللتين تحفان بالحيط الهادىء . ذلك بأن أميركا لا ترضخ لنظام موصدة أبوابه في وجهها ، في منطقة من الأرض لها فيها حقوق تساوي في رأيها على الأقل حقوق اليابان

\*\*\*

فأهي حقوق الولايات المتحدة في الشرق الأقصى وما مصالحها



المصالح كثيرة متباينة ، والحقوق مستمدة من رسوخ تلك المصالح في ارتقاء الشرق الأقصى التاريخي والاقتصادي والاجتماعي

من هذه المصالح الجغرافي ، وهو يشمل الجزائر المتعددة التي تملكها في المحيط الهادئ أو التي تعتبر مسؤولة عن سلامتها كجزائر الفيليبين . ومنها القوي في الصين واليابان والفيليبين والهند الهولندية وغيرها من الجزائر عشرات الألوف من الأميركيين يقيمون هناك ويباشرون أعمالهم السامية المشروعة من عشرات السنين في نطاق القانون والنظام ، وكان لهم أثر أي أثر في نهضة تلك البلدان وارتقائها . ومنها المالية فللايركيين عشرات الملايين من الجنيهات ، كسبوها بعرق الجبين وعثروها في بلدان الشرق الأقصى فكانت الفائدة متبادلة بين الفريقين . وقد لا يقل مجموعها عن ١٥٠ الى ٢٠٠ مليون من الجنيهات . ومنها التجارية السائرة اذ تبلغ تجارة الولايات المتحدة من صادر ووارد مع اليابان والصين وجزائر الفيليبين وحدها ما يزيد على ١٦٠ مليون جنيه في السنة . ومنها الجوية من مدنية وحرية فالولايات المتحدة زعيمة الدول التي شقت طرق المواصلات الجوية في المحيط الهادي والبحار الجنوبية . ولا ريب في ان القواعد الجوية المدنية التي أنشأتها شركة «بان أميركان» للمواصلات الجوية في مختلف الجزائر في ذلك المحيط لها قيمة حرية ليس في الوسع الاغضاء عنها . ومنها الثقافية والعلمية كمعاهد العلم والتعليم ومنشآت البحث الطبي والصحي ولا سيما التابعة لمعهد ركفلر المشهور وغيرها . وليس في وسع الولايات المتحدة أن تنسحب من الشرق الأقصى بقضها وقضيضها بغير أن تصاب جميع هذه المصالح بالضرر والأذى

وأخيراً هناك مصلحة المصالح ، وهي مصلحة الدفاع عن الكيان . ان ترابط أجزاء العالم ونماسك بلدانه ، وتأثرها بعضها ببعض ، أصبحت في منزلة الأوليات التي لا تحتاج الى دليل . فحوادث فنلندا وهولندا لها أثر في سنغافورة وجاوى . ومعركة الشرق الأوسط تنجاوب اصداؤها بين تركيا وروسيا وإيران الى الهند والصين . والولايات المتحدة الأميركية تحمل عبئاً عالمياً ككل دولة كبيرة ولا يسعها انكار تبعاتها والقاء حملها في جانب الطريق . فاذا حافظت على منزلتها وهيبتها العالمية ولا سيما في الشرق الأقصى ، كان لذلك شأن كبير في المساعدة على الاستقرار في جميع أنحاء العالم . واذا نزلت عما لها من منزلة وهيبة في الشرق الأقصى ، انقلب ميزان القوى فيه ، وتعرضت جامعة الأمم البريطانية لما يوهن قواها في أوروبا في مواصلة النضال العنيف . واذا وهنت بريطانيا في أوروبا ، اضطرت الولايات المتحدة الأميركية ، ان تواجه مشكلة دفاعية معقدة عظيمة ، ووجب على أقطابها ان يحسبوا حساباً عملياً للخطر الذي يتعرض له كيانهم السياسي والاقتصادي وصورة الحياة الديمقراطية الحرة التي ارتضوها وآزروها



على غيرها . قد لا يكون الهجوم الحربي على الولايات المتحدة من ناحيتي أوروبا وآسيا أخطر ما تتعرض له في البدء ، نتيجة لوهن بريطانيا — إذا وقع بسبب تهاون أميركا في الشرق الأقصى — بل قد يسبقه ويفوقه شأنًا وخطراً الاغارة على تجارتها في بحار الأرض السبعة ، وإحداث الانقلابات السياسية من الداخل في جمهوريات العالم الجديد ثم السعي الى إحداث الانقلاب أو اضرام حرب أهلية أخرى فيها نفسها . وليست هذه الأقوال من مبتدعات الخيال وإنما هي وسائل وأساليب منصوص عليها في كتاب « كفاحي » وكتاب « هتلر قال لي »

فالحفاظة على صورة الحياة الديمقراطية والحفاظة على الكيان الأميركي وجهان لمسألة واحدة واشترك الولايات المتحدة في الحرب — مهما يكن القالب الذي يفرغ فيه هذا الاشتراك — ليس مجرد خدمة تسدى ولكنها ضرورة قاسرة لا مفر منها

على ضوء هذه الحقائق نستطيع أن نفهم سوء وقع الاتفاق الثلاثي بين ألمانيا وإيطاليا واليابان في دوائر الحكومة الأميركية ونفس الشعب . ونصوص الاتفاق تشير اشارة واضحة بغير ذكر الولايات المتحدة الأميركية الى أنها مقصودة به قبل غيرها ، لأن روسيا أخرجت منه نص صريح فيه ، مهما تكن قيمة ذلك النص . ولكن الولايات المتحدة حكومة وشعباً ، أبت أن تتأثر باعلان الميثاق على الوجه الذي كانت تتوقعه برلين وطوكيو . فأقطاب حكومتها — كوزير الخارجية المستر كوردل هل ، ووكيله المستر سمنر ولز — صرحا بأن الاتفاق لا ينطوي على شيء جديد وإنما سجل حالة قائمة منذ سنوات وان الحكومة الأميركية حسبت لهذه الحالة حساباً في جميع خططها . والشعب نفسه مثلاً في صحفه ومذيعي محطاته اللاسلكية ساخط أشد السخط على ساسة يعتقدون أنهم يستطيعون ارباب الأمة الأميركية بأساليب ملتوية وحملها — خوفاً — على النكوص عما تراه حقاً او واجباً او لازماً لكيانها . ولذلك اشتدت المطالبة في أميركا بمضاعفة العون المادي والصناعي الذي يبذل لبريطانيا ، وكذلك مضاعفة الجهد المبذول في أميركا لتعزيز قوتها البرية والبحرية والجوية . وكان من تأثير هذا التحول في الرأي ان بدأت محادثات مع حكومات انكلترا وأستراليا وزيلندا الجديدة مدارها الدفاع والقواعد البحرية والجوية في المحيط الهادئ وخاصة نصفه الجنوبي . وكان من تأثيره كذلك ان عيون دعاة العزلة في الولايات المتحدة أخذت تنفتح على حقائق الحالة الدولية ، خفت صوته في نقد سياسة الرئيس روزفلت ، بل ان مرشح الحزب الجمهوري وهو الحزب الذي ما فتئ ينتقد سياسة الرئيس روزفلت ، أصبح وكأنه يتكلم بلسان الرئيس نفسه . بل انه يشاؤه في حدة التعبير أحياناً لأنه لا يشغل منصباً رسمياً مثله



# ليون تروتسكي

شريك لينين ومنشئ الجيش الاحمر

مدار اختلافه مع ستالين

الثورات تلتهم أبناءها لأنها بطبيعتها لا تقبل — وهي هاجمة مكتسحة — الحلول المتوسطة أو الاتفاق بين الطرفين المتطرفين. فالفوز يكون لأحدها بقهر الآخر وزواله. وهذه الحقيقة قضت على تروتسكي بأن يكون طريق روسيا السوفياتية بعد أن كان شريك لينين في انشائها. فهم على وجهه وهو أعزل لا يملك إلا كلمتي « الثورة العالمية » بين شفثيه فعاش فترة في إحدى جزائر الامراء في بحر مرمرية ثم في زوج. ولكن اوربا كلها ضاقت به فهجرتها مضطراً الى المكسيك حيث استقر على صلة بأتباعه الى ان وافته منيته في عاصمتها على أثر اصابته بيد مقاتل في أواسط شهر أغسطس الماضي

\*\*\*

ظل اسم تروتسكي الى سنة ١٩٢٧ لا يفصل عن اسم لينين كلما ورد ذكر الثورة الشيوعية في روسيا. ولكن خلافه مع ستالين بعد موت لينين في سنة ١٩٢٤ كان لا بد ان ينتهي الى احد امرين : إما فوزه الكامل وتقلده زمام الامر في روسيا واما فوز ستالين الكامل وخروج تروتسكي من الميدان. فالتعاون بين الرجلين كان متعذراً. ذلك ان تروتسكي كان ذا فكر لامح كالبرق وبديهة حاضرة وكان خطيباً مفوهاً يشهد الذين سمعوا كبار الخطباء في هذا العصر بأنه كان احدهم. وكان شديد الاعتماد على ماله من مكانة في روسيا الشيوعية قائمة على مشاركة لينين في انشائها عن نجاحه في انشاء الجيش الاحمر وكسب الحرب الاهلية فيه بعد الثورة ورد اعداء روسيا عن حدودها — فأهمل اداة الثورة في البلاد وهي الحزب الشيوعي وكان ستالين أبداً منه فكراً وأصاب مشيئة وأصدق إدراكاً لمنايع السلطان في روسيا فنظم الحزب الشيوعي تنظيماً مكنه من السيطرة عليه لأن أتباعه وأصدقائه كانوا في المناصب الرئيسية فيه فصار الحزب اذا عقد اجتماعاً للبحث في مسألة خطيرة يسمع تروتسكي بخطاب فيه ثم يتخذ قراراً يناطوي على الرأي الذي يخالف رأيه. وكذلك أقصي تروتسكي



رويداً رويداً من المناصب التي تمكنه من توجيه سياسة الدولة ثم طورد ثم أبعد . وفي أثناء نفيه من روسيا نظمت المحاكمات المشهورة وكانت النعمة الرئيسية في معظمها الاشتراك مع « الخائن تروتسكي » في التآمر على سلامة الدولة . فهل هذا صحيح ؟

\*\*\*

قبل إبداء الرأي فيه يجب ان نقول ان أعمال تروتسكي الى ان أبعد عن روسيا تؤهله لمكانة عالية بين أقطاب هذا العصر بصرف النظر عن رأينا في الموافقة على هذه الاعمال او استنكارها . كان لا يزال في طراوة الحدائة عندما انتظم في الاعمال الثورية فسجن ونفي مراراً قبل ان بلغ السادسة والعشرين من عمره . وفي سنة ١٩٠٥ شبت الثورة الروسية الاولى بعد الحرب الروسية اليابانية — ولكنها ثورة لم تنجح — فاختير ليون تروتسكي وهو في السادسة والعشرين رئيساً لمجلس عمال ( سوفيات ) بتروغراد . فلما أخفقت الثورة قبض عليه وحوكم وسجن ونفي ثم فر . وفي فراره من بوليس البلدان المختلفة اجتاز النمسا وسويسرا وفرنسا واسبانيا الى أميركا وكندا . ثم عاد الى روسيا في مايو ١٩١٧ وهو في الثامنة والثلاثين من عمره

والعجيب في أمره انه لم يكن عضواً في الفريق البولشفيكي من الشيوعيين عند عودته بل كان أحد أقطاب الفريق الآخر المعتدل المعروف باسم « المنشفيك » وكان لينين زعيم البولشفيك فقبل تروتسكي زعامته ورضخ لشخصيته على ما بين الرجلين من تباين . ولكن لينين عرف كيف يستخرج من تروتسكي أحسن ما فيه فعينه وزيراً للحرية وهو لا يعلم شيئاً عن فنون الحرب

ولكن الرجل نهض الى مستوى الساعاة الخطيرة في تاريخ الثورة التي ما فتى يسمى اليها ويتعذب في سبيلها من صغره فأنشأ من مجموعة بائسة من الرجال صفر الوجوه مقطبي الجياه غائري الحدود والعيون ضيق الأكتاف ضائقي الذرع بالحرب وبلاياها ، جيشاً حارب به أعداء النظام الجديد في الداخل وأعداءه في الخارج . ويروى ان تروتسكي قضى نحو ثلاث سنوات في القطار متنقلاً من ميدان الى ميدان للاتصال بالفرق والكتائب المختلفة للاشراف على خططها وأعمالها وتشجيع رجالها وليكون صلة بينها وبين الحكومة الجديدة

ولذلك يصح ان يقال ان عقل لينين وضع قواعد النظام الجديد ويده خطت خطوطه الرئيسية ولكن تروتسكي كان السيف الذي شق الطريق أمامه الى النجاح . وليس هناك



تاريخ للثورة الروسية كتب قبل نفيه — سنة ١٩٢٧ — لا يعترف له بهذه اليد. أما أن يكون ستالين قد أمر بحذف اسمه من هذه التواريخ فلا يؤثر مطلقاً في حكم التاريخ عليه. وأعظم أعمال تروتسكي تتجلى في الفترة التي كان يعمل فيها مع لينين يداً واحدة

\*\*\*

نعود الى السؤال : هل تأمر تروتسكي على الدولة

لاريب في أن تروتسكي كان يخالف ستالين في إتجاه الثورة الروسية ولكل منهما من الأدلة والحقائق في حالة روسيا وحالة العالم ما يؤيد به رأيه. فستالين نحا بالشيوعية نحو الوطنية متخلياً الى حين على الأقل عن دعوة « الثورة العالمية » مكشفاً أولاً بأن تحقق الدولة الاشتراكية المثلى في روسيا. وستالين خاضع في هذا لموقع روسيا الجغرافي واحتمال اضطرابها الى محاربة عدوين كبيرين في ميدانين بعيدين أحدهما في الشرق الأقصى والآخر في أوروبا، فلا بد من توثيق أواصر الصداقة — الى حين على الأقل — مع دول رأسمالية ولا بد كذلك من تحريك النزعة الوطنية في صدور الروسيين حتى يتسبع الأساس الاجتماعي الذي قام عليه نظام الدولة الجديدة. وأما تروتسكي فكان مقتنعاً بأن تحقيق الدولة الاشتراكية المثلى في أمّة ما لا يمكن أن يتم إلا إذا انهارت النظم الرأسمالية في سائر الدول. ولذلك كان رأيه وجوب المضي في الدعوة الى الثورة العالمية

فلما أقصي عن روسيا رأى على المرجح أن خير وسيلة لتحقيق رأيه هي السعي إلى إسقاط ستالين وشيعته من مقام السلطان في روسيا. والغالب أن كثيرين من الشيوعيين القدماء كانوا يشاطرونه هذا الرأي. فبهذا التفسير المحدود كان تروتسكي متأملاً على متولي الحكم في روسيا. اما أنه تأمر مع أعداء روسيا — وكانت المانيا النازية أشدهم وأعنفهم حينئذ — فغير محتمل

\*\*\*

بقي أن نقول أن تروتسكي كان يعتبر كاتباً ألمعياً من الطبقة الأولى. ففي تاريخه « الثورة الروسية » وفي « سيرته » حاول أن يكتب تاريخ روسيا الحديث من وجهة نظره الخاصة ولكن إذا صرفنا النظر عن ذلك وجب أن يعتبر هذان الكتابان من أبلغ ما خطه قلم رجل كبير إشتهر بالعمل قبل أن يشتهر بالكتابة والتأليف



# بَابُ الْإِسْخَرِ الْعِلْمِيَّةِ

أمين الريحاني

الحافلة كانت المرحلة التي تلت الحرب العالمية الماضية الى الآن فقد رحل الى بلاد العرب وزار ملوكها وامراءها وتجوّل في بواديها وعلى سواحلها وغبّ من أدبها وأخلاقيها فخرج مؤمناً بمستقبلها اذا تولته أيدي الإصلاح والرشد . ثم قام عنها سفيراً للعرب بفشره ثلاثة مجلدات في وصف رحلته هذه وهي « ابن سعود : بلاده وشعبه » . و« حول سواحل بلاد العرب » . و« بلاد العرب جيلاً وصحراء » واكثره عن اليمن . وأودع هذه الرحلة في سفر عربي فذ عنوانه « ملوك العرب » واتبعه بأخرى عن « فيصل » و« تاريخ نجد الحديث » . وكان قيل وفاته بعد كتاباً عن رحلته الى المغرب الأقصى وكانت تستكتبه مجلة « آسيا » الاميركية وتوفيه ثمناً على مقالاته كما توفي اكبر المشيئين الاميركيين . ولم ير كاتب هذه السطور عدداً واحداً من مجلة أميركية فيه مقالان من قلم كاتب واحد الا عدد من مجلة « آسيا » نشر من سنوات وفيه مقالان بقلم أمين الريحاني . ان الفريق القربة اللبنانية الصغيرة لتستقبل الان صاحب القلم الذي وضعها على خارطة الدنيا بمقاله البليغ فيها . وقد وصفه الدكتور بشرفارس في مستهل باب المكتبة

فج العالم العربي ب وفاة علم من أعلام الأدب والفكر والإصلاح هو المرحوم المأسوف عليه أمين الريحاني وقد توفي بعد حادثه صدمته فيها سيارة عابرة

كان أمين الريحاني منشئاً بليغاً باللغتين العربية والانكليزية ، حرّ الفكر والعقيدة ، يتوخى الإصلاح في كل ما يكتب وينشئ مؤمناً بقضية العرب ومستقبلهم السياسي والاجتماعي ولطالما شرع شبابه قلعه للدفاع عنها في ديار الغرب نشأ ادبياً يكتب المقالات ويلقي الخطب فأحدث ظهوره هزة في البلدان العربية لانه كان صريحاً في الاعراب عن رأيه قوي الحججة بليغ العبارة في مكافئة ما يعتقد فساداً يجب محوه واعوجاجاً يجب تقويمه . و« رجائياته » تجميع أهم هذه الخطب والفصول في جزئها ورحل الى الولايات المتحدة الاميركية حيث اتقن الكتابة باللغة الانكليزية حتى غدا يعد من المشيئين البليغاء فيها . فنقل الى الشعر الانكليزي مختارات ابي العلاء بعنوان رباعيات ابي العلاء وأنشأ رواية « خالد » ونشر مجموعات من الشعر منها ديوان عنوانه « نشيد الصوفيين » وشعر اكثره على الطريقة للتصوفية ولعلّ أخصب مرحلة من مراحل حياته



## القنابل المحرقة ومطافرها

فيها مادة تدعى «الترميت» وهي مادة شديدة  
الالتهاب فاذا التهمت ولدت حرارة درجتها  
٢٥٠٠ مئوية

وليس في الوسع اطفاء هذه المادة  
مضى بدأت تشتعل لأنها تستمد اوكسجينها  
من نفسها فغمرها بالماء لقطع الاكسجين عنها  
لا يجدي . ومدى احتراق هذه المادة قصير  
لا يزيد على أربعين ثانية الى خمس وأربعين  
ولكن الحرارة كافية لاشتعال غلاف القنبلة  
الخارجي وهو خليط من المنيسيوم وقليل من  
الألومنيوم فاذا اشتعل ولد حرارة درجتها  
١٥٠٠ مئوية ولكن مدة اشتعاله نحو نصف ساعة  
والخطر في أثناء اشتعال الغلاف الخارجي  
مردّه الى شرر يتطاير منها مسافة عشر اقدام  
الى ٥٠ قدماً فيعلق بكل مادة قابلة للاشتعال  
فتتولد حرائق صغيرة هنا وهناك فاذا لم تطفأ  
اتسع نطاقها واذا كانت الريح تهب فانها قد تمد  
نطاق النار الى المنازل المجاورة

ولذلك يجب ان يزال من السطوح  
والشرفات كل ما كان قابلاً للالتهاب، والتأهب  
لمسكخة القنبلة المحرقة بأنجم وسائل مكافئها  
وهي إما الرمل وإما الماء

ولا يكفي ان تغطي القنبلة بالرمل اذا وقعت  
على سطح مصنوع من الأبرق (السمنت)  
المسلح، لأنه اذا لم تزد سماكة السطح عن  
ثلاث بوصات ونصف بوصة، فان القنبلة قد  
تحترقه . ولذلك يجب أن تتأهب لمعالجتها باعداد

من أشد الأخطار التي تتعرض لها البلدان  
الحاربة خطر القنابل المحرقة . وهو خطر  
يسهل تفافقه كما يسهل إجتنا ذلك النفاقم إذا  
عرفت الأساليب المستعملة في معالجة القنبلة  
المحرقة والنيران التي تشبها

القنبلة المحرقة صغيرة خفيفة الوزن لانزيد  
على تسع بوصات طولاً وبوصتين قطراً فتستطيع  
الطائرات القاذفة أن تحمل منها الفأ الى الفين  
وفقاً للمسافة التي يتعين على القاذفة إجتيازها  
قبل الفاء القنابل . فاذا كانت المسافة طويلة  
حملت القاذفة الفأ من القنابل المحرقة وإذا كانت  
المسافة قصيرة حملت حتى الفين منها . وقد تلتقي هذه  
القنابل فرادى فتقع الواحدة على مسافة ٦٠  
او سبعين ذراعاً من الأولى . أو قد نوضع  
في صندوق يشبه المقطف او اسطوانة فينفج  
الصندوق في الجو وتسقط القنابل منه في مساحة  
ضيقة وقد اشتهر هذا المقطف باسم «مقطف  
مولوتوف» لأن الروس استعملوه أولاً في  
الحرب الفنلندية

القنابل لا تقع على الأرض عمودياً بل  
منحرفة فاذا كانت الطائرة على ارتفاع ألفي  
قدم كانت زاوية الانحراف ٤٥ درجة أي أن  
القنبلة قد تدخل من نافذة مفتوحة الى الحجرة  
واذا كان ارتفاع الطائرة أكثر من ألفي قدم  
كان سقوط القنابل المحرقة أقل انحرافاً أي  
أقرب الى السقوط العمودي

تحتوي القنبلة في داخلها على اسطوانة



المطاط الممتد منها بين اصابع اليد ويوجه الماء المنقذف رذاذاً منه الى حيث القبلة فتقصر مدة اشتعالها بدون ان يتطاير الشرر منها . واذا لم يكن هناك مضخة لهذا الغرض فاملاً كوباً من الماء وضع أصابع يدك عليه ثم رش القبلة بهائيه . وبما يجب الاحتراس منه في هذا الصدد ان استعمال الاسطوانات الخاصة المعدة لاطفاء الحريق ممنوع بتاتا . اذ تتحد المادة التي في هذه الاسطوانات بمادة القبلة فيتولد « غاز الفوسجين » وهو من أشد الغازات السامة فعلاً

دلو (جردل) مملوء رملاً ومجرفة طويلة الذراع . فاذا وقعت القبلة وبدأت تلتهب فرشنا قليلاً من الرمل وجرفناها بالمجرفة اليها ثم نقلب «الجردل» على جنبه قرب القبلة ونجرفها الى داخله ونقيمه ثم نغطيها بالرمل أما الماء فيجب ألا يصب عليها صباً . لأن ذلك يؤجج نارها ويزيدها قذفاً للشرر . بل يجب أن ترش بالماء رشاً . وخير وسيلة هو استعمال المضخة التي تنفخ بها عجلات الدراجة فتوضع في حوض من الماء ويمسك انبوب

### مصير جوائز نوبل

١٩٣٥ لكارل اوسيتسكي الالماني عند ما كان معتقلاً في المانيا . وقد توفي بعيد ذلك أما منحه جائزتي الكيمياء والطبيعة في يد أكاديمية العلوم الأسوجية ، ومنحه جائزة الأدب في يد الأكاديمية الأسوجية . ومنحه جائزة الطب والفسيولوجيا في يد معهد كارولين الطبي الجراحي في استوكهلم . ولا يعلم هل تقرر هذه المنشآت توزيع الجوائز عن سنة ١٩٤٠ فاذا رأيت حائلاً يحول دون ذلك فلها ان تؤجل منحها . وقد حدث قبلاً ان أجل منح جائزة ما من هذه الجوائز فنحت متأخرة في السنة التي تليها او امتنع عن منحها بتاتا وأضيفت قيمتها الى رأس المال

هل توزع جوائز نوبل هذه السنة ؟ سؤال جميع متبعي ارتقاء العلم وازدهار الأدب والسعي الى توطيد اركان السلام . وقد درجنا على اعتبار العلماء والأدباء ودعاة السلام الذين يفوزون بجوائز نوبل في المنزلة الاولى بين المعاصرين . وقد بلغ المال الذي وزع على نائلي جوائز نوبل منذ بدىء في توزيعها سنة ١٩٠١ نحو خمسة ملايين من الدولارات

اما جائزة السلام فالمرجح الذي في حكم اليقين الامتناع عن منحها هذه السنة لأن منحها في ايدي لجنة خاصة من مجلس زوج النياي . وزوج الآن في قبضة الالمانيين . والهرهتلر على كل حال متكر لهذه الجائزة منذ منحت في سنة

### هل تعلم

\* إن أعرق ما بلغته غواصة لا يزيد على

أربعائة قدم

\* أن الأرض تعيش خمس سنوات إذا

لم تقتل بأصابة عارضة ؟



## مخترعات الحرب

## ١ - مقطف (أو سلة) مولوتوف

لابني العلماء والمهندسون والكيميائيون في جميع أرجاء العالم ، في العمل والبحث لا اكتشاف واختراع عتاد أو سلاح جديد للحرب، إما من أسلحة الدفاع وإما من أسلحة الهجوم وابلانها أوج الكمال، فظلوا دائبين في جهدهم هذا عدة أعوام ، بيد إن ثماره لم تظهر للملأ إلا حينما استأنفت الدول امتشاق الحسام . ولا جرم أن يكون أغلب ذلك النصب متعلقاً بالحرب الجوية . وقد اشتهر من قبل كثير من المخترعات الجديدة التي من هذا القبيل . وقيل إن لروسيا القذح المعلى في ذلك الميدان اذ اخترعت أحد تلك الأسلحة ، ونقصد به السلاح الجوي الذي أطلق عليه الفنلنديون اسم « سلة مولوتوف » للخبز Molotov's breadbasket . ويؤلف ذلك السلاح من أسطوانة جوفاء طولها ثمانى أقدام وقطرها ثلاث أقدام وقد ركبت مروحة في أحد طرفيها . فإذا ما أُلقت إحداها طائراً من طائرات الجيش الأحمر ، القاذفة للقنابل ، قامت مروحتها بإدارة الاسطوانة دورة بنجم عنها ، فتح جوانب تلك الاسطوانة ، فتنتطق محتوياتها وهي مؤلفة من ألف قنبلة محرقة صغيرة وطائفة من قنابل « شرايبل » فتنشر على سطح الارض شذر مذر ، ومع ما يلوح لنا من فظاعة هذا السلاح الرهيب فهو لم ينتجج

في غير أيدي الخبراء من جنود الجيش الأحمر وجاء في برقيات جريدة الأهرام الصادرة في ٧ سبتمبر سنة ١٩٤٠ بنا عن هذه السلة ووصفها وهما كما يأتي : —  
في أثناء الغارات الألمانية الواسعة النطاق على بريطانيا وهي التي قامت بمعظمها ليلة أمس طائرات منفردة ، أُلقيت سلة خبز مولوتوف في إحدى مناطق لندن حيث شوهدت أول مرة أضواء عجيبة في الجو . وهذه السلة تتكون من علاقة كبيرة معلق بها نحو مائة قنبلة محرقة في صفين ، ثم تلقى على الأهداف بواسطة انفجارات تحدث بينما تكون العلاقة سابحة في الجو . ثم وصفت الأهرام في الصفحة الأخيرة من ذلك العدد نفسه السلة عنها فقالت : —  
في برقيات اليوم إن الألمانين استخدموا أمس سلة مولوتوف أول مرة في هجومهم على لندن، وهو سلاح جديد أخذه الألمان من سلاح الطيران الروسي الذي استخدمه أول مرة في حرب فنلندا ، في أوائل هذا العام . وقد أطلق الفنلنديون عليه هذا الاسم نسبة إلى الرفيق مولوتوف وزير خارجية السوفيات ورئيس وزارتها في ذلك الوقت . وهذا السلاح مؤلف من قنبلة ضخمة الحجم تضم تحت غلافها ثلاثة صفوف من القنابل المحرقة الصغيرة يبلغ عددها نحو مائة قنبلة ، فإذا أُلقيت هذه القنبلة الضخمة من الطائرة ، دارت في مؤخرتها ،



بالتحكم في المحرك الكهربائي الصغير المخصص لتصليح أخطاء الملاحة الجوية

\*\*\*

وقد ثبت أن الضباب والسحاب لا يحولان دون قيام ذلك السلاح الجوي الجديد بعمله الرهيب . ومن ثمة يستطيع دائماً شق طريقه الى هدفه وان سقط على ثلاثة أميال منه ، لأنه لا يسقط عليه عمودياً بل يشرع في رحلته التدميرية منزلقاً انزلاقاً هادئاً ، حاملاً في الجو مفرقات شديدة الانفجار ، تبلغ زنتها عشرة آلاف رطل مخكئة التوازن ، تقلبها طائرات من الطائرات الحديثة الطراز فتلقى الذعر في أفئدة ضحاياها المرتقنين . فلا غرو والحالة هذه اذا عمد النازي الى نقل مصانع الذخائر والأدوات الحربية من مواضعها الأصلية الواقعة في مناطق القتال ، الى جهات أخرى تبعد ما أمكن عن ساحات الوغى

\*\*\*

وما حدث في الجو حادث في اعماق الماء . فالاساليب التي عمد اليها النازي في غواصاتهم واستعمالها لتدمير السفن تلقى ما يبطلها . ومما لاشك فيه ان الألغام البريطانية الجديدة غدت مصدر الملع لسكر غواصة من غواصات الأسطول النازي

وألمانيا نفسها جادة في اكتشاف بعض الأسلحة الجديدة التي تتوسل بها الى اخضاع الحلفاء ، بيد أن أغلب الأشعات التي أشيعت بشأن الغازات السامة الجديدة التي تسمم البلدان

مروحة بفعل الهواء دورات معدودة ، يفتح بعدها غلاف القبلة فتتناثر القنابل الصغيرة منها وهي لا تزال في الجو

## ٢ — الطوريبد الاحول

ومن الأسلحة الجوية الرهيبية نوع آخر من القنابل المدمرة يسمى الطوريبد الاحول Squinting torpedo وقد اخترعه مخترع ذو ذهن خصب . وذلك إنه دهش إذ تبين الحقيقة الراهنة وهي أن أسلحة الدفاع القوية المقاومة للطائرات ، لا يتيسر لها في الغالب اصابة أهدافها مائة في المائة . ومن الميسور أن يصير هذا الطوريبد الجديد مهلكاً عند احكام رمايته إذ انه هو نفسه يسيطر على مسيره الى هدفه . وليس هذا الأمر بعيداً عن المعقول كما يبدو لنا أول وهلة . لأن تلك السيطرة الأوتوماتيكية تحدث بطريقة ممكنة جداً واليك وصفها: — وراء رأس الطوريبد وعلى مقربة منه جناحان مركب فيهما العينان الحولوان اللتان اشتق اسمهما منهما وهما مرآتان مقعرتان موضوعتان في منحرف خارجي ، وهما تحسان بالأشعة التي تحت الحمراء أي الأشعة الخفية ولما كان الغرض الأساسي من استخدام الطوريبد الاحول ، تدمير الأفران ذات المراوح ، فان تينك العينين تتفان أعظم النفع . وبما أن تلك الأفران أعظم ما اخترعه البشر لتوليد الحرارة الخفية ، فحينما تصيب هذه الأشعة المرآتين الحساستين المشار اليهما ، تتحول منهما الى بطاريات كهربائية حساسة بالضوء ، فتقوم هذه



لا يخرقها الرصاص ، مما يعد فتحاً مجيداً في عالم السيارات

وقد تم تجهيز جميع سيارات الجيش البريطاني الخفيفة بهذه الاطارات الجديدة وكان الجيش يستخدم إطارات غير منفوخة في سيارات النقل ( اللوريات ) التي تتراوح سرعتها بين خمسة وعشرين ميلاً في الساعة وذلك في أثناء الحرب الماضية . وغالباً ما كانت تنأكل هذه الاطارات بتأثير السرعة . أما اليوم فإن هذه السيارات قدجهزت باطارات منفوخة مع أن سرعتها تبلغ حوالي خمسين ميلاً في الساعة

#### ٤ — أمانة متفجرة جديدة ؟

ومن أهم ما يذكر بشأن المخترعات الحربية المادة المتفجرة السرية التي جربت في ألمانيا سنة ١٩٣٤ وهي المشهورة باسم رقم ١٧ فقط . ومخترعها الألماني اسمه جبريل إيمريخ Gabriel Emmerich وهو الذي خطفه النازي المتعصبون في تلك السنة ثم سجنوه في المعتقل الهائل في داشاو حيث انتحروا قبل تمكن النازي من اغتصاب اختراعه منه . ثم قيل أن ذلك الاختراع مات بموت صاحبه . ولكنهم كانوا مخطئين إذ أن المباحث التي قام بها علماء الألمان عقب القاء القنبلة على هتلر وهو في مشرب البيرة في مدينة ميونخ ، حيث كاد يقتل أثبتت لهم أن المقدوف الغريب الشديد الانفجار ، الذي استعمل فيها إنما هو المادة المتفجرة رقم ١٧ المشار إليه آنفاً عوض جندي

والمدن ، وكذلك القنابل الجوية التي تبث جرائم الطاعون أو تنوم الناس . وغيرها من مزايع الألمان ، إنما هي جزء من حرب الأعصاب التي لاجدوى منها ثم المدفع الفرنسي الجديد البعيد المرمى ، وهو من أفضع المدافع التي ظهرت في الحرب الراهنة إذ يبلغ مرماه عشرة أميال . وهو يصيب هدفه إصابة محكمة ، مثل سلفه مدفع ٧٥ المشهور ، هذا إلى سهولة تنقله من مكان إلى آخر إلى أقصى حد ، وهو لا يحتاج إلى حفر عميقة عند إطلاقه

#### ٣ — إطارات مطاط لا يخرقها الرصاص

ومن المخترعات الحربية الأنكليزية الحديثة النافعة فعلاً للجيش الانكليزي إطارات السيارات التي لا يخرقها رصاص البندقيات ، فأصبحت بريطانيا العظمى الدولة الوحيدة التي تفاخر بذلك الاختراع

ومن المدهش جداً أنها ليست من النوع الصلب ، بل اللين الذي ينفخ بالهواء . ومن البديهي أن العناصر المؤلفة لها تلك الاطارات الداخلية والخارجية مازالت سرّاً مكتوماً لا يمكن إفشاؤه

وجاء وصف هذه الاطارات في جريدة الاهرام إذ قالت في ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٣٩ في برقية لها من لندن بتاريخ ٢٩ / ١٢ / ٣٩ ما يأتي : — أخرجت المصانع البريطانية بعد جهد متواصل وإختبارات دامت حوالي عشرين عاماً ، اطارات من الكاوتشوك للسيارات



## السفانة من الاسمنت المسلح

« الأبرق المسلح » استفتاء به عن الفولاذ والحديد

حامت أفكار المخترعين منذ قرنين أو أكثر حول صنع السفن من الحديد المتين بدلاً من الخشب وذاعت أفكارهم وعلمت آراؤهم ، بين معاصريهم القدماء ، حتى سخر منهم العوام ، وازدرى بهم الجهلاء . وليس هذا بغريب حين ظهور كل اختراع عجيب ، لأن الناس ما برحوا في كل زمان ومكان لا يفقهون أول وهلة ، كل عمل لم يألفوه وفكر لم يعلموه

اخترع بايرن سنة ١٧٠٧ ميلادية أول سفينة بخارية تسير بالبخار ، الناشئة من الماء والنار ، فصدق الناس ما سبقوا فسمعوه ، وعلموا من الأمر ما جهلوه . وكذلك حدث مع مخترع السفن التي تصنع بالاسمنت المسلح

واخترع منذ عشر سنين مهندس إيطالي يسمى جابيليني سفناً من الاسمنت المسلح ، وعرض اختراعه على حكومته الإيطالية وبعض رؤساء البحرية في مدينة روما فلم يرقموا الاختراع ولم يحز منهم قبولاً في أول أمره لسوء حظ مخترعه . ولكن قررت أكبر شركات نقل الفحم وأشهر أندية الزوارق إن اختراع جابيليني خطير ، وبالتنسيق والاقبال عليه ، لجدير . قالت هذا القول بعد أن سبرت غور الاختراع وفحصته فتيئت نفعه . وقد ثابر المخترع على إيضاح مشروعه وتبيان نفعه للبحرية حتى بلغ أمنيته ونال بقيته كما سيجيء : — ولا بدع أن

كان من أثر تعذر الحصول على الصلب والحديد في أواخر الحرب الكبرى الماضية أن عمدت بعض الدول مثل انكلترا وإيطاليا والنرويج والولايات المتحدة الى اعتياض الاسمنت المسلح عن هاتين المادتين ، في صنع السفن ، فبلغ ما أنشئ منها حتى سنة ١٩٢٢ نحو مائة سفينة وصلت حمولة بعضها الى ٦٥٠٠ طن . ومع أنه لم تصنع سفن بهذه الطريقة منذ سنة ١٩٢٢ إلا أن مهندسي هذا الفن الجميل لم يقفوا بحوثهم ، بل واصلوها حتى استطاعوا أن يرتفعوا بقوة احتمال البوصة المربعة من الاسمنت المسلح من ١٦٠٠٠ رطل الى ٢٧٠٠٠ رطل . وقد أذيع أخيراً أن الحكومة البريطانية قررت صنع عدد من السفن الكبيرة بالاسمنت المسلح ، بعد أن ثبت أن نفقات صنع السفينة منه تقل ٣٥٪ عن نفقات صنعها بالصلب والحديد . وذلك عدا ما أثبتته التجارب من أن سفن الاسمنت المسلح أقوى على تحمل ضغط الأمواج في البحار الهائجة من السفن العادية — (أهرام ٢٩ / ٨ / ٤٠) . قرأت هذا النبأ فتذكرت تواتراً ما نشرته في شباني منذ ثلاثين سنة في هذا الموضوع فأثرت أن اقتبس منه نبذة كتبتها في مجلة المحيط لصاحبها المرحوم الأستاذ عوض واصف ، وذلك في جزء يوليه سنة ١٩١٠ حيث قلت : —



صدمة هائلة فلم تتأثر أقل تأثير . فأدهشهم ذلك جداً ولم يبق عندهم أي شك في فائدة هذا الاختراع . ثم هناؤه بذلك النجاح وطلبوا اليه اعداد أربع سفن

وكان جابليني قد فكّر في اختراعه هذا من سنة ١٨٩٧ فحرب أولاً عمل سفينة من الأسمنت المسلح ثم غمرها في الماء سنتين وبعدئذٍ ألقى مراساتها في مرفأ آنزويو ( جنوب روما على البحر الايض المتوسط ) نحو أربع سنوات ثم نقلها الى ثغر روما حيث مكثت خمس سنوات في نهر التير فلم تؤثر مياه البحر في جدرانها ولم تحتاج الى ترميم ، فعقد النية على مواصلة صنع السفن بهذه الطريقة

\*\*\*

وفضلاً عما ذكر من ميزات سفن جابليني فانها لا تحتاج في صنعها الى قوالب غالية الثمن بل يكفي في صنعها باستعمال شبكة معدنية خفيفة ليتمكن بها الصانع من تكييف مواد البناء كما يشاء . ثم يصب عليها المواد حتى يحصل على النخانة المطلوبة . زد على هذا أن صنع هذه السفن الغريبة لا يحتاج الى استخدام عمال ماهرين كالذين يستخدمون في صناعة السفن المعتادة . ثم إن كيفية إنزالها في البحر المتوسط سهلة بسيطة وذلك لأنها تصنع في حوض عوام مصنوع من الأسمنت المسلح أيضاً . وحين يتم صنعها يغطس طرف الحوض في الماء ، فتشق السفينة عباب اليم بعكس البواخر العادية فانها تحتاج الى عناء عظيم عوض جندي

ينبع مثل هذا الرجل في بلاد الجندولا ( وهي زوارق ضيقة مستطيلة معدل طولها ٣٠ قدماً وعرضها أربع أقدام ، تمخرقنات مدينة البندقية في ايطاليا )

فقد دلّ الاختبار أن سفن جابليني كلما طال بقاءها في الماء ، زادت متانة وصلابة على عكس السفن الحديدية فانها تصدأ ويسرع تلفها ، وإنها أقل استهلاكاً للوقود وأسرع سيراً لصقالة جدرانها ونفومتها . وكانت باكورة أعمال جابليني السفينة النقالة الصغيرة المسماة إطورا التي أنشأها سنة ١٩٠٢ واستخدمها من ذلك العهد الى الآن في الاعمال الهندسية البحرية في نهر التير الواقعة عليه عاصمة إيطاليا ولما أتيح للمخترع النجاح أعاد الكرة

منذ سنتين فصنع في هذه المرة سفينة اكبر من الأولى إذ تبلغ حمولتها ١٥٠ طناً وتدعى هذه الباخرة الثانية ليجوريا . وقد ظن رؤساء البحرية في بدء الأمر أنه ليس لهذا الاختراع نفع محقق ، فلم يحفلوا به وكرروا له قولهم « إن سفينتك ضعيفة لا تتحمل الصدمات العنيفة ، اذا ارتطمت ، ففرت ، واذا صدمت ثلعت ، واذا خرقت ، غرقت » أما هو فتكان يجيبهم بقوله لهم « لا تلقوا القول على عواهنه بل عليكم بالامتحان وهو حكُّ الأمور » . فاما أعيانهم الأمر أقدموا على هذه التجربة وهي إنهم أبقوا الباخرة في عرض البحر وربطوها بالمرسة ثم سيروا عليها طراداً ضخماً متجهاً مع الريح ليصدمها بقوة ، فصدتها



# مكتبة المقتطف

## وادي الفريكة (١)

« السكينة بعد العواصف » والراحة بعد التعب ! — طوف أمين الريحاني في مسالك الدنيا وشرق وغرب حتى ملئت نفسه بهرج المدينة وفر من « الهيئة الاجتماعية الواقعة على شفر هاوية فن » وأوى الى ذلك الوادي « حيث تمتد الأعناق وتحنى الرؤوس وتضغط الحدود بعضها على بعض ». عاد الى الطبيعة ، كما عاد اليها روسو من قبل ، وهو مطمئن النفس لعلمه ان الطبيعة « لا تظلم بنيتها مهما اشتد غضبها » فان هطلت الأمطار وعصفت الرياح فعن يمينك او يسارك مغارة حقيرة قائمة ههنا لتدفع عنك الغضب ، ألا ترى الى الطبيعة كيف تعنى بالخلوقات النجيفة أمثال الأزهار والأنوار تنبتها في الأماكن الحشنة بين العليق والشوك وتحت الصخور ودون الحجارة والأثافي فتزد عنها قوة البشر وصولة الحيوان ؟

عاد أمين — رحمه الله — الى وادي الفريكة عودة الروحاني الملتاح : أصاب في المدن أخاء الانسان وعرف الاعياء والقنوط ولمس الضجيج والزحام حول ما هو زائل زائف. فمرول الى الطبيعة يطلب الخالق العظيم ويرغب في التفكير والتأمل والنشاط والعزم . ويود ان يصل الى اللذة الروحانية المطلقة وإن مزق الشوك قدميه وصفع المطر خديه . فما اللحم والدم الى جانب الروح ؟ ومثل الريحاني كمثل « الحشاشين والبوذيين » يطلب النشوة العليا فيدع أرج الشجر وشذ الارض يبلغان من أعصابه كل مبلغ ثم يطير بعد ذلك في آفاق الأبدية إذ تتحد روحه بما يحوطه فتضطرب في نفسه ما في الوادي « من ظلال وخيالات وكهوف وصخور وأنهر وطيور » وكذلك صنع من قبل ، وهكذا ألف نيتشه وهكذا نظم راسك وعلى هذا حكاء الهند أصحاب التأمل الاسمي . واتحاد الروح بالطبيعة ينتهي مراقبة الفن ، لأن الفن هو الفكر الذي يصبح طبيعة ، الفكر الذي يتفتح من خلال الطبيعة ، والروح والفكر من معدن واحد ، هذا عند الفلاسفة وذلك عند الصوفية . ومن اتحاد الطبيعة بالفكر عند الفلاسفة الذين آمنوا نظرية ( كانت ) في علم الجمال



مثل هيجل وشلنج، خرج المذهب الابتداعي في الأدب. ثم خرجت التأثرية والتعبيرية وبها يقصد الفن إلى مزج الحقيقة الخارجية، بالحقيقة الباطنة، وخرجت الرمزية وبها يستنبط ما وراء الحس من المحسوس

والريحاني أوى الى وادي الفريكة مستلهماً يبحث عن الحقيقة الأزلية، مطرّحاً الحرافات والتقاليد والأوهام، منصرفاً الى سماع ألحان السكينة كما صنع بيتوفن من قبل. منطوياً على نفسه كتلك «النباتات الجميلة الرقيقة تنبت وتتمو وتزهر وتذبل دون أن يلمسها بشر... تعيش لنفسها وللطبيعة فقط». ولكن الريحاني لا يكفيه أن يعيش لنفسه وللطبيعة فقط، لأنه فياض الشعور محدث القلب، فلا بد له من البشر لا طلباً للأنس ولكن رغبة في أن يقول لرفيق «ان العزلة جميلة». انفرد الريحاني بنفسه ولم ينش عن اتخاف الناس بلطائفه ورواؤه. ألم يقل طاغور «المنفرد بنفسه عدم، وانما الآخر الذي يجعله حقيقة»

بشر فارس

### ديوان ابن الساعاتي

الجزء الثاني، عني بتحقيقه ونشره أنيس المقدسي استاذ الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية

٤٣٧ صفحة من قطع المقتطف — المطبعة الاميركية في بيروت

أخرج العلامة الاستاذ أنيس المقدسي منذ عامين تقريباً الجزء الأول من ديوان ابن الساعاتي بعد أن حقق أصوله وراجعه على عدة نسخ خطية لعبت يد التحريف والتصحيف في معظم صحائفها فردّ ألفاظه الى أصولها وشرحها شرحاً وافياً، وقدم له بمقدمة رائعة عرض فيها حياة الشاعر ونشأته وحلل شخصيته وشعره تحليلاً دقيقاً، وقد نشر تلخيص وافٍ لتلك المقدمة في هذه المجلة في عدد مارس سنة ١٩٣٩

وابن الساعاتي هو الشاعر الوصّاف بهاء الدين ابو الحسن علي بن رستم بن هردوز الحراساني الذي اتصل بكثير من امراء الايوبيين ورجلهم من اعلام عصره، ونظم الكثير من المدايح فيهم. وهو «فنان ماهر طويل الباع في استخدام الالفاظ للتعبير عن مقاصده، واسع الحيلة في التلاعب بالمعاني البيانية. ولا شك انه في ذلك، وفي المدح خاصة، يقابل بالطبقة الأولى من شعراء العصر العباسي»

وهذا هو الجزء الثاني من ديوانه يخرج للناس بعناية الاستاذ المقدسي. وتحقيقاته كسابقه وأنه لمن حسن حفظ هذا الشاعر أن يظفر ديوانه بعدة قرون بعناية عالم كبير له مكاتنه في عالم الأدب، فعمل حظوظ بعض الشعراء الآخرين تواتبها الفرصة التي اسعدت ابن الساعاتي فيظفرون من الأستاذ المقدسي ببعض هذه العناية فتكون حسنة من حسناته الكثيرات التي يسديها الى الأدب العربي، وهو خير من يقوم بمثل هذه الاعباء

الصيرفي



## ديوان البارودي

قدم له بمقدمة دراسية بليغة معالي الدكتور ميكل باشا وضبطه وشرحه الاستاذان علي الجارم بك  
ومحمد شفيق معروف وطبعته وزارة المعارف المصرية على نفقتها في مطبعة دار الكتب

البارودي شاعر تستطيع مصر العربية الحديثة أن تطاول به — عن جدارة وحق —  
شعراء العربية الموزعين على شبه الجزيرة والعراق والشام والأندلس في مختلف العصور سواء  
أقبل الاسلام كان ذلك أم بعده

وأي نفس عربية تجري على السليم من الفطرة ، والحالص من الطبع ، والراقي من الاحساس  
لا ترى في هذا الشاعر الكبير نفحات المتنبّي ، وومضات مشرقة مضيئة من ومضات أبي تمام ،  
ومسالك رقيقة من طبع البحري ، وهمة عالية من همّة الشريف الرضي ، ومطارح بعيدة من مطارح  
أبي فراس ، وجرساً عالياً مُرّاً من جرس ابن هاني ؟

لقد اجتمع في البارودي الجركسي المصري كثير من ذلك كله ، وأنت حين تقرأه تخيل  
إليك أنك تقرأ الديوان من شعر العرب على اختلاف فنونه وبيان مناحيه . ففيه البداوة  
والجزالة إذا شئت ، وفيه الرقة والسلاسة إذا التمستهما ، وفيه غير ذلك كثير مما تكشف عنه  
المطالعة ، وتدل عليه المراجعة

ومن الحق أن نقول أن البارودي هو أول شاعر جرى بمصر إلى غاية عقدت لها الصدارة  
في الشعر بعد أن كانت فيه تسبّعاً . فشعراؤها منذ الفتح العربي إلى أيام البارودي — وهي حقبة  
طويلة — لم يمتازوا بالفحولة ، ولا عقد لهم في القصيد لواء ، ولم يتساموا إلى مراتب الفحول .  
ولسنا هنا نتجنّ عليهم أو نغمطهم حقاً ، وأما هو الحق والواقع

نعم لقد كان في بعضهم كثير من الاحسان ، وكان في جميعهم كثير من الرقة . ولكنهم لم  
يستطيعوا أن يجعلوا للشعر المصري مدرسة خاصة تطبع شعراء العرب على غرارها . ومن يجيدهم  
عمارة البني وابن قلامش والشاب الظريف والبهاء زهير . ويلهم الحشاش وصفوت الساطني  
والشيخ محمد شهاب الدين وأبو الفرج الدمهوري والشيخ أحمد وهي وغيرهم . فقد قال هؤلاء  
وهؤلاء شعراً إلا أنه كان محلياً ضيق المعالم . وكان بعضه يتميز بما فيه من نكتة أكثر مما فيه  
من قوة ، وكان أغلبه يمتاز بما فيه من وشي ومحسنات أكثر مما فيه من معنى عميق أو حسن رقيق  
أو تصوير دقيق

وحظ ديوان البارودي في الكتب كحظ البارودي نفسه في التاريخ السياسي لمصر — فهو  
الصدر في الوزراء ، وديوانه الصدر في الدواوين ، وقد طبع مرة قبل ذلك في ثوب قشيب ، ثم  
شاءت الأقدار أن يطبع بعد ذلك في ثوب أكثر جودة ، واحسن بزة ، وأرق حاشية ، وأوفى



شرحاً . وحسبه مواتاة حفظ ان يكون كاتب مقدمته وزيراً جملة العلم ، وحلّاه الأدب ، وفاضت المعرفة على شباة قلمه . وان يكون أحد شارحيه شاعراً غنّى فأعجب ، وأنشد فأطرب . والكتب كالعباد تدور عليها الحظوظ ، وتقسم عليها الحدود

لقد وفق معالي الدكتور هيكل باشا الاديب في تقديم محمود سامي البارودي الشاعر توفيقاً يغبطه عليه كل من تعرض لتاريخ الأدب او لتراجم الرجال . والحق ان المقدمة التي كتبها للديوان دراسة تحليلية للبارودي وشعره . فيها كثير من عمق هيكل ، وفيها كثير من لمحاته الأدبية ، وفيها كثير من الاستقراء الذي يمتاز به مباحثه ، وفيها كثير من البيان الأبني الطيّع في غير معاناة ولا معاصرة . وحذا لو تفضل صديقي الأستاذ فؤاد صرّوف محرر المقتطف فنشرها فيه — على طولها — حتى يتاح لمن لا تقع لهم نسخة من الديوان الجديد أن يستمتعوا بما فيها من تاريخ وأدب

اما شرح الديوان فقد استفاض الى حد خشينا معه أن ينقلب الكتاب معجماً من معجمات اللغة ، فقد فسرت كلمات كثيرة ، مألوفة معروفة ، ولعل الشارحين الفاضلين يعتذران بأن الديوان طبع طبعة مدرسية . ولكنه بالرغم من ذلك جهد يستحق الثناء الجم ، فقد جلياً كل غامض ، وسهلاً كل صعب ، وقدّمنا الديوان في شرح ذلّ له جماع المعاني ولان عسيرها وليس من سبيلنا الآن التعرض لنقد شعر البارودي أو الكلام في أسلوبه وأغراضه ومعانيه ، أو التحدث عن الطابع التأثري في شعره ، أو شرح النوازع التي مالت به ، الى إثارة بعض فنون من الشعر على بعض ، أو أثر سنوات النفي السبع عشرة في شعره الحزيني فأن مقدمة هيكل باشا — لو نشرت — فيها عرض وافٍ لهذه الموضوعات

محمد عبد الغني حسن

مدرسة الحديو اسماعيل

### تاريخ حمص

بقلم العلامة المؤرخ المدقق الحوري عيسى أسعد

حمص إحدى مدن سوريا الكبرى ، وقد جعلها موقعها الممتاز في حاشية سهل فسيح لدى نهر عريض (العاصي) ملتقى لطرق التجارة من جميع الجهات ، وممرّاً للرحّالين من كل صوب ، ومطعماً للغزاة من كل ناحية . فلا بدع ان تكون هي وما تبعها من البقاع المجاورة لها ذات شأن كبير في حياة الأمم المحيطة بها والدول المتعاقبة من حولها ، وان تكون من أقدم مدن الشرق وان يكون تاريخها أحفل بالحوادث من أكثر المدن السورية . فلما من تاريخ لأي صقع من أصقاع الشرق (الأدنى) يمكن ان يخلو من ذكر حمص



فهو المركز الذي تتجه اليه جميع أمم الشرق وتتقاطع فيه جميع قوى المشرق وتتفرع منه جواذب المدينة والعمران

هذا ما يستخرج من مجمل تاريخ حصن كعاصمة ومملكة بما يتبعها مما حولها من البلاد في جميع العصور التي تقلبت عليها وجميع القوات السياسية التي تداولتها وجميع المطامع الدولية التي تعاقبت فيها

إذن لا غرو ان يكون تاريخ حصن شاملاً لتواريخ جميع أصقاع الشرق من دلتا مصر الى دلتا العراق ومن المحيط الهندي الى البحر الأبيض المتوسط

هذا هو محتوى تاريخ حصن الذي ألفه العلامة الأب عيسى أسعد (الحصي) فشغل القسم الأول منه ما كان من بدء التاريخ الى صدر الاسلام نحو ٤٥٠ صفحة من القطع الكبير. فمن بطالع هذا السفر الجليل ير أنه يطلع على تواريخ جميع الأمم التي تعاقبت والتي تعاصرت في بلاد سوريا وفلسطين ومصر وجزيرة العرب وما بين النهرين وما يليها من الأناضول، كما أنه يلم بجواشي بلاد فارس واليونان والرومان

هو تاريخ الشرق القديم (وتاريخه الحديث سيكون القسم الثاني في مجلد آخر معد للطبع) والمطالع لهذا التاريخ العظيم يدرك من مزاياه العامة والخاصة: —

أولاً: أنه ليس تاريخاً لسرد الحوادث المتعاقبة والمتصادمة فقط بل هو فلسفة لتاريخ الشرق أيضاً. وقد ضبط المؤرخ فيه الأسباب والمسببات وجلا روايتها ثانياً: أنه ليس تاريخاً سياسياً اجتماعياً فحسب بل هو تفصيل لتطورات الحضارة والارتقاء المدنية في الشرق وتنازع حضاراته وتضارب تقاليده

ثالثاً: إن كل بحث فيه مستند الى أسناد تاريخية وثيقة ومصادر محكمة تمحيصاً دقيقاً وهذا يشهد للمؤلف باختصاصه في التاريخ وسعة علمه — فكانه بجر عرفان مدقق رابعاً: أنه مجموعة نفيسة لسير (بيوغرافية) أشخاص تاريخ الشرق ومجموعة ثمينة لوصف أثرية الشرق وأساطيره

وأعترف بصراحة أنني إذ كنت أقلب هذا السفر النادر النظيف كنت أشعر أن المؤلف كأنه طوى حقبة طويلة من الزمان او بضعة أعمار حتى استطاع ان يركز هذه المعلومات التي لا تنكاد نحصى والمتشردة هنا وهناك، وان يبويبها ويقسمها ويفصلها هذا التفصيل المنطقي العلمي السليم لا أستطيع ان أصور للقارئ قيمة هذا الكتاب كما هي. فاجتزأت عن التفصيل بهذا الاجمال تاركاً للمطالع الحكم بقيمته ومنزلته في عالم الأدب والعلم

نقولا الحداد



## اخناتون ونفرتيتي

## مسرحية من الشعر المرسل

للاستاذ علي أحمد باكثير خريج معهد التربية العالي — مطبعة الشرق بالقجالة  
ونشرته مكتبة الخانجي — صفحاته ٢١٦ من القطع الصغير

قرأت هذه المسرحية الممتعة مرتين : مرة لنفسي حينما تفضل مؤلفها الفاضل بإهدائها لي  
ومرة للمقطف حينما كلفت الكتابة عنها . وقد يكون من الأمور ما تمل أعادته إلا أن هذه  
المسرحية مما تحلو بالتكرار وتعذب بالمعاودة من حين إلى حين . وذلك سر مختبئ في حلاوة  
سردها ولقد كنت أفهم السر في حلاوة الحديث فلما قرأت هذه القصة فهمت السر في حلاوة  
الكتابة ...

وللمؤلف طريقة في النظم جرى عليها ، ودعاها دعوة المؤمن بها . فليست هي من الشعر  
المألوف ، وليست هي من النثر المعروف وإنما هي شيء بين الشعر والنثر ، ومرحلة بين الأعجاز والسحر  
وليس في هذا الكلام مبالغة أو غلو . وليس فيه اغراق في الخيال أو اسراف في التقدير  
وإنما هو الحق بعينه . فقد أبدع المؤلف في حبك الرواية حبكة لا تجد فيها تناقضاً ولا اضطراباً  
بل جرت في أسلوب أغرب ما فيه أنه رقيق ورصين

في هذه المسرحية نواح كثيرة من الجمال . فوضوعها جميل ، وعبارتها أجمل ، وفيها كثير  
من شاعرية المؤلف وهدوء نفسه ورقة حسه . وفيها كثير من الموسيقى التي يدهشنا بوجودها  
في هذا النوع من الشعر المرسل المنطلق . وهذا النوع من الشعر هو محاولة جديدة جريئة من  
الشاعر «علي باكثير» . قد يصادفها ما يصادف كل جديد من العيون المنزوية والقلوب المعرضة ...  
إلا أنه يظهر لي من حديثي معه أنه شديد الإيمان بصلاح طريقته لإصلاح المسرح العربي  
والنهوض به

على أنني لا أفهم السبب في تقييد المؤلف نفسه بالبحور ذوات التفعيلة الواحدة في حين أن  
بقية البحور صالحة لطريقته . وعجيب جداً هذا التقييد من مؤلف يريد تحرير الشعر العربي ..  
في هذه المسرحية ألوان عديدة من الحب والغيرة ، والمكر والخديعة ، والغلظة والرحمة ،  
والتيه والدلال ، والشعر والخيال . وهي كما قال الأستاذ عبد القادر المازني في تقديمها ( بشرى  
بظهور كوكب جديد في عالم الشعر )

وخليق بها أن تقرأ من كل مصري ومن كل عربي ليستوعب ما فيها من لذة ومتاع



## الاعدام

مجموعة قصص — نشرتها دار « المكشوف » ١٥٣ صفحة من القطع الوسط —

طبع بمطبعة الكشف في بيروت

يعمل الاستاذ فؤاد حبيش صاحب المكشوف على تغذية النهضة الأدبية وتعزيزها ، فقد اجتذب في خليفته طائفة من خيرة أدباء لبنان تخرج للناس شهداء المصطفى ، وكان للقصة نصيبها الأكبر من هذا النشاط على يد زعمائها أمثال الاساتذة ميخائيل نعيمة و خليل تقي الدين وتوفيق يوسف عواد وأحمد مكي ، ولم يقف نشاط صاحب المكشوف عند حدود وطنه بل تجاوزه فأصدر منذ عام عدداً خاصاً عن مصر وثقافتها ، ونشر قصة رائعة للقصصي الكبير الاستاذ محمود بك تيمور . وآخر ما أخرجت دار المكشوف مجموعة « الإعدام » للاستاذ خليل تقي الدين والاستاذ خليل تقي الدين في طليعة أدباء القصة في الأدب العربي الحديث ، يجمع الى أسلوب القاص روح الشاعر يندمج في إطار قصصه بقلبه وروحه وبفكره وبصيرته كما يندمج الصوفي في مجالي الكون فتستشعر العمق في قصته — العمق الذي يجتذب القارئ الى اغواره دون ملل ، وترى الجلوة المشرقة في أسلوبه تسكب رقة وتشعُ جمالاً

فهو من أحب القصصيين إلى نفسي ، عرفته يوم قرأت مجموعته الأولى « عشر قصص » تلك التي تناولتها على عجل ، وهي جديرة بالدرس والتحليل ، وازدادت معرفة به ، حين قرأت له المجموعة الثانية « الإعدام » وهي كأختها الأولى كريمة النبع ضمت بضعة قصص طرقتها الكبرى القصة التي جعلت اسماً للمجموعة

فهو في قصة الإعدام يجري على مذهب التحليل النفسي ، ولكن في هوادة وتروق فلا ترى موجة التحليل تصدُّ الشعور المتدفق من النفس الشاعرة . يضع السطور الأولى للفكرة التي يعرضها ويترك القارئ يبحث بفكره هو فيما بين هذه السطور . وهذه مزية الفنان

ولقد يتجلى هذا الرأي في قصصه بوضوح ولا سيما في أقصوصة « الديك » فهي على بساطتها تتطوي على تحليل دقيق للفرزة الجنسية المكبوتة ، ولكن السخرية المزوجة في حنان وتلطف ، والعرض الجميل ، يجعلان القارئ ينتبه إلى الفكرة دون أن تقطع صلته بالروح الذي ينسب في القصة أو يحاول الكاتب أن يلفت إليه النظر ، شأنه في ذلك شأن الشاعر في رمزيته ومرجع ذلك الى جمال أسلوب هذا القاص ورشاقته والى إندماجه الكلي في إطار القصة كما قلت فهو لا يشعر أنه يزج أسراراً ولكنه يشعر أنه يعرض صوراً تكاد تنطق ، فهو لا يعب ولا يكيد ذهنه في تكوين هذه الصورة ، لهذا قلت أنه يجمع إلى أسلوب القاص روح



الشاعر الذي يلهم في قصيدته الصورة الشعرية بجميع دقائقها لأن نفسه قد تكشفت فلم يكد ذهنه في إزاحة الاستار عنها

أما أقصوصه الجميلة «الواحة» فهي قصيدة قلب متفجر تدفقت حرّة فلم تستطع القوافي أن تقف في طريقها بقيد من القيود أو تصد انغامها السارية في عالم غير محدود الصيرفي

أغاريد

ديوان محمد فهمي — ١٢٧ صفحة حجم وسط — مطبعة حجازي بالقاهرة

إذا قرأت قصيدة للشاعر العاطفي محمد فهمي ، وكنت لا تعرفه وأحببت أن ترسم في خيالك صورة له لم يخطئ خيالك ، ولم تعد الصورة المرسمة في ذهنك حقيقة هذا الشاعر لأن يده في روحه وطباعه ومخايل وجهه ، وبين شعره ، في ألفاظه ومعانيه تجانساً وانسجاماً

فهو مرهف الاحساس ، متوقد العاطفة ، متوثب الخيال ، قلق بين مجالي الكون ، برم بألوان الحياة . وكذلك شعره . فهو حين يرى نفسه بين فيض غامر من متع الحياة يهتف :

ربان اريان اربع الحسن يروني قتل الروح منه نهل مفتون

وإذا به بعد ذلك يتعامل ويتبرم بهذا كله ، ويحس ضرام حرب طاحنة بين روحه وجسده :

نداءان ، كل منهما بي هاتف يحاول أن أمضي اليه ويطلب

وينطلق في ثورة على الجسد ينال من عباده ويكشف عن خباياه فيقول :

عجبت لعابد الحسن ألا يدري لمن يسجد ؟

ألجسم ؟ وقد صيغ من الطين ، ولم يجمد

فأجت فيه أوشاب عديد بعضها يفسد

يلق الكل جلاب من الجلد الذي يقدد

ففيه الشر مكنون وفيه النقص لا يجحد

أهذا الفنان المغربي أهذا الناعس الأغيد ؟

أهذا كل ما يسي أهذا كل ما يسجد ؟

ثم يصرخ من أعماق نفس ارتوت فأحست بالمرارة التي تعقب الري وبالحرسة الخالدة التي تلازم النفوس الصافية الظائمة الى ما هو أجل وأسمى ، النفوس التي تود الانفتاح والخلاص

فترى القيد يغلقها حتى اذا استطاعت ان تفلت منه وقفت تنظر الى الصنم المعبود في سخط :

ألا يا عابد الحسن جهلت الآن ما تعبد

ولو تدري لأفصرت وكنت الآن من يجحد

لخير لك تمثال من الصخر ، من الجلمد...



على ان القلق والحيرة يعاودانه ، أو قل طبيعة نفسه تعود فتندفع في فيض من النغم المرقص  
ففى سخطه ، وينطلق أكثر من العباد فتنة في قصيدته الفاتنة « سيريناد »  
وانك لا تجد في انغماسه زلة الروح ، ولا تشم عبق الشهوة الجاحمة ، لأن الصوفية المستولية  
عليه والتي ساعدت مطالعته كتب التصوف والفلسفة على ارازها تلون انغماسه وتحيله فضاءً  
روحياً ، وهذا سرُّ ابداعه

وله الى جانب ذلك ريشة مصورة ماهرة . على أنه لا يكتفي برسم المظهر الخارجي بل يمزج  
بين نفسه وبين المراثيات ثم يخلق من هذه وتلك صورة قد تكون قريبة من الواقع وقد تكون  
بعيدة عنه لأنه يضيف عليها من نسج خياله بروداً ، ويفيض على مراثياته أضواء من روحه كما  
في قصائده « سحر المنصورة » و « في الغروب » و « المنصورة الفاتنة » و « تعالي »  
وقصيدته « الفنان » من عيون شعره الفكري ، أما مسرحيته « حواء جديدة » فهي موكب  
شعري نغم يزخر بمختلف الحوالم النفسية يعرضها الشاعر في نسق جميل  
ان ديوان « أغاريد » نفحة عاطرة تبعث في النفس السلام والراحة في زمن فقدت  
فيه النفوس راحتها وطمانينها وأصبحت في حاجة الى العزاء ، ومن أجدر من الشعراء ببعث العزاء  
في هذه النفوس المتعبة المكسودة ؟  
الصيرفي

### اذكروني

تظهر الآن في عالم الأدب أدبية جديدة ينبىء أديها عن نبوغ يجعلها في المستقبل القريب  
في صف كبار الكتاب الممتازين بأقلامهم وأساليبهم . وهي تمتاز بأسلوب فني تظهر فيه بشخصية  
واضحة خاصة تعرف بها وحدها في اي حقل جال فيه قلمها — هي الأدبية البارعة الآنسة  
سنية أمين قرأعة من أسرة عريقة بالجاه والفضل والعلم والأدب . ومديرة مكتب الصحافة الدولي  
في كتابها « اذكروني » الذي ظهر حديثاً وهو باكورة مؤلفاتها معالجة للأحوال الاجتماعية  
من ناحية علائق الفتاة بالفتى في طور الحب والزواج . فقد بسطت في قصص صغيرة وأبحاث  
أدبية اجتماعية الحب متريداً في جميع احواله المختلفة — حب متبادل وحب فاشل ، واخلاص  
في ناحية ، وخيانة في ناحية اخرى ، وزواج موفق ، وزواج خائب ، وتربية قوية تصمم القلب  
من خطأ الهامه ، او تربية ضعيفة يتهور القلب بها بوحه الطائش ، وحب قاده القدر على رغم  
الارادة تارة الى السعادة وأخرى الى البؤس

وهكذا جمعت هذه الكتابة الجديدة معظم مجاري الحب في تيارات الاجتماع المختلفة .  
فهو تحفة طريفة في دار الأدب الحديث



مطبوعات جريدہ

الآداب والاخلاق الحسنة والصفات المحمودة  
التي تليق بالمسيحي التي تنطبق على مبادئ  
الكتب المقدسة وهو يبحث في السيرة التي  
يجب على المسيحي ان يسيرها

وتوسع حضرته في علم الأدب المسيحي  
وغايته وأقسامه والمبادئ الأولية في هذا  
الأدب وعلاقة الانسان بالله وبالقريب  
ثم فصل البحث في سائر المحامد والأعمال  
اليومية والتربية المحموده والتعليم الديني  
وواجبات الانسان نحو الله ونفسه وغيره

فالكتاب تحفة أدبية ارتكن المؤلف في  
تأليفه على الآيات الدينية ونخلت بحوته آيات  
حكيمة كثيرة وهو يقع في ٢٨٨ صفحة بالقطع  
الوسط وثمانه ١٢ قرشاً

(الكنز المدفون في أسماء الكتب والفنون)  
 عني الشيخ يوسف توما البستاني صاحب  
 مكتبة العرب بالفجالة بجمع طائفة كبيرة من  
 المخطوطات العربية لم يذكرها صاحب كشف  
 الظنون حتى تكون تكملة لما فاته. وفي هذا  
 الكتاب ذكر لطائفة من المخطوطات العربية  
 في النصوص الاسلامي والفقه على المذاهب  
 الأربعة والتوحيد والمصاحف النادرة والصرف  
 والنحو وفي علوم الفلك والطب والمنطق والفلسفة  
 والدواوين الشعرية والكتب التاريخية  
 والقواميس وكتب اللغة والبلاغة وذكر أمام  
 كل مخطوط اسم مؤلفه. وهي معروضة للبيع في  
 مكتبته بأثمان زهيدة بالنسبة الى قيمتها الكبيرة

الادب العربي في ماله وفي ما عليه : بقلم  
الاستاذ ادوارد مرقص — يمكن قارئ هذا  
الكتيب ان يقف على الشيء الكثير من اسرار  
الادب وقوفاً صحيحاً مجملًا يغنيه عن التفصيل  
اذا اراد الاستغناء ويساعده على تفهمه أعظم  
مساعدة ان اراد ان يتبعه في مظانه من  
مطولات الكتب. ففيه لمحة عن تاريخ الادب  
العربي من اوائل نشأته حتى اليوم والنواحي  
التي اهم الادب العربي بالعجز فيها ونحو ٦٠٠  
بيت من عيون الشعر العربي

والكتاب يقع في ١٥٠ صفحة من القطع الصغير ومطبوع في المطبعة التجارية باللاذقية

﴿ الفلسفة في السياسة القومية وعلاقتها بالبلاد العربية ﴾ — أصدرت زميلتنا مجلة العروة البيرونية الغراء عدداً ممتازاً عن الفلسفة في السياسة القومية وعلاقتها بالبلاد العربية وهي تشمل سلسلة دراسات فلسفية ترمي الى تفهيم علاقة الفلسفة بالقومية والسياسة ففيها مقالات عن التفكير الفلسفي وفلسفة السياسة في الماضي عند اليونان والرومان والعرب وفلسفة النهضة القومية واخيراً الفلسفة والنهضة القومية العربية وواضعو هذه الابحاث نخبة من الطلبة المنصرفين الى مهامهم الدراسية الخاصة

(الأدب المسيحي) - تأليف الخوري الياس  
محاسن راعي طائفة الروم الارثوذكس بالمنصورة  
هذا كتاب جليل الفائدة لان مؤلفه  
المفضل جعل غرضه الرئيسي البحث عن



## ملاحظات عن ترجمة «البستاني» لطاغور

صديقي الفاضل رئيس تحرير المقتطف الغراء  
سلاماً واحتراماً. وبعد فقد قرأت ما نشرتم في العدد الماضي من المقتطف من ترجمة الاستاذ  
كامل محمود حبيب «للبستاني» نظم شاعرنا الفيلسوف طاغور فوجدت فيه بعض الكلمات جديدة  
بالتحشية والتنبيه عليها  
وكان طلب مني الاستاذ كامل المراجعة قبل النشر ولكن مع الأسف حالت الظروف القاهرة  
دون ذلك والكلمات كما يلي :-

﴿اشوكا﴾ هي شجرة ذات ازهار حمراء تسمى بالافرنجية jonesia asoca  
يصبح الهنود الوثنيون بعصر ازهارها أخامص أقدامهم. وفي العيد المسمى عندهم «اشوكا اشتمي»  
الذي يقام في أواخر ابريل في تكريم الآله «وشتو» يشربون الماء وفيه ازهار اشوكا. وقد  
تغنى بحمال ازهارها كبار الأدباء والشعراء في الأدب السنسكريتي  
﴿بانيان Banyan﴾ هو اسم أطلقه الافرنج على شجرة هندية اسمها بالفارسية «بَرْ كَد»  
( بفتح الاول وسكون الثاني وفتح الثالث وهو كاف فارسية وسكون الآخر ) وبالأردية  
«بَرْ» بفتح الاول وسكون الثاني وهو حرف الراء الهندي المفتح ) وهي ليست من فصيلة  
التين وان نطقت به القواميس الافرنجية ولعلمهم حكموا به لشبهه بين ثمارها الصغيرة والتين وهي  
شجرة يقدسها الهنود الوثنيون ويقومون تحتها بطقوسهم الدينية وهي خضراء الاوراق وارفة  
الظل لاتتحت اوراقها طول السنة وتستحيل الى دوحة عظيمة قوية كلما زادت في السن فان من  
غرائب هذه الشجرة انها ترسل افنانها الى فوق والى تحت . وما ترسله الى تحت ينغرس  
ويستحيل ساقاً أخرى وهلم جرا ، حتى اذا طال عليها الأمد أصبحت دوحة ذات سيقان  
كثيرة . ولا يزال في ضواحي كلكتة بالهند واحدة منها يقال عمرها أكثر من مائة سنة يزورها  
الناس فان الوفاً من أفانينها قد تحولت الى السيقان واحتلت من الارض بضعة اميال مربعة ويمكن  
ان يستظلها بضعة آلاف من الجنود وهذه الشجرة توجد في مصر ايضاً على شاطئ النيل  
عند كوبري الملك الصالح

﴿سيقا﴾ هو احد الآلهة الثلاثة في الديانة البرهمية . «فالبرها» خالق الكون «والوشنو»  
رازقه ومحافظه ، «والشيفا» آله الموت والبعث بعد الموت  
وفي الختام أحب أن أوجه نظر الاستاذ الى أنه جمع «ابن آوى» على أبناء آوى وهو خطأ  
فان جمع «ابن آوى» بالعربية خلاف القياس «بنات آوى» والسلام  
السيد أبو النصر أحمد الحسيني الهندي



# فهرس الجزء الرابع

من المجلد السابع والتسعين

حرب المعادن	٣٤١
الارتقاء الطبي وتأثيره الاقتصادي والاجتماعي	٣٥٠
علي ابراهيم باشا — الاحتفال بعيدة الستيني :	٣٥٧
١ — لبهي الدين بركات باشا	
٢ — والدكتور نجيب محفوظ باشا	
٣ — والدكتور محمد عبد الحميد بك	
الناقدون (قصيدة) : لخيران خليل جبران	٣٦٤
نهضة علاج امراض العيون بمصر في ربع قرن : للدكتور عيسى حمدي المازني بك	٣٦٥
جائيس رسل لويل : لمحمد عبد الغني حسن	٣٧٣
سلاسل التطورات والمواد اللازمة للحياة : لنقولا الحداد	٣٧٧
انسان المستقبل — صفاته البيولوجية كما يراها أساطين العلم الحديث	٣٨٤
المدرسة الانزامية وتأثيرها وعلاقتها بغيرها : لعبد الله أمين	٣٨٩
طمسن والكهرب — بدء الانقلاب في علم الطبيعة الحديث	٣٩٧
نظام ديوان الاستخبار في الهند : للسيد أبو النصر احمد الحسيني الهندي	٤٠٢
حديقة المقتطف * البستاني : للشاعر الفيلسوف طاغور : نقلها محمود كامل حبيب	٤٠٥
سير الزمان * الحرب الخاطفة — موقف الولايات المتحدة في الشرق الاقصى — ليون تروتسكي	٤٢١

باب الاخبار العلمية * أمين الريحاني . القتابل الحرية ومكافئتها . مصير جوائز نوبل . هل تعلم مخترعات الحرب . السفانة من الاسمنت المسلح	٤٣٣
مكتبة المقتطف * وادي الفريكة . ديوان ابن الساعاتي . ديوان البارودي . تاريخ حمص . اخناتون ونفرتيتي . الاعدام . أغاريد . أذكروني . الادب في ماله وفي ماعليه . الفلسفة في السياسة القومية . الادب المسيحي . السكتر المدفون في اسماء الكتب والفنون . ملائحات على ترجمة «البستاني»	٤٤١